روايات عبير

جنون الذهب

www.rewity.com
Hindoda

Roberte
WEYRICH

№583

روايات عبير

أضاءت ابتسامة وجه "نينا" شيئاً فشيئاً وقالت:

رائع! ولكن لدي فكرة أفضل..

- لقد كان "راي" على حق يا "نينا".. إذا لم أرحل الليلة فلن أرحل أبدا.

- وماذا لو رحلت معكما أنا أيضا؟

- ماذا تقصدين؟

- نعم.. يمكنني أن آتي إليك الأسبوع القادم.

تلاقت نظراتهما وقتا طويلا وقال "ماتيو" في بطء:

- إنها أشهر طويلة وسط الصحراء بعيدا عن كل حضارة.. إنها ليست رحلة متعة!

- يكفي أننا سنكون معا يا "ماتيو".

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	٥ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ ليبنار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	٣ دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

ISBN 9953-424-59-4

9 789953 424590

الغلاف الامامي

تعمل "نينا" عارضة ازياء في وكالة تصوير شهيرة، وتفاجا في يوم بخطاب إنهاء خدمتها نظراً لبلوغها سن الخامسة والعشرين وهي اقصى سن تعمل فيها العارضة، اصيبت بإحباط شديد، وذهبت لمقابلة صديقتها في المكتبة العامة لتشكو لها همومها، واثناء انتظارها لصديقتها يتقدم منها شاب يحاول التعرف عليها، وتبين -فيما بعد- انه مهندس مناجم، وانه يبحث عن ممول لمشروع اكتشافه منجم ذهب، تعرض عليه "نينا" ان تساعده في تمويل المشروع عن طريق اسرتها التي هي من اغنياء "شيكاغو" تضع الأسرة شروطا قاسية للتمويل كجزء من رأس المال، وعليه هو تدبير الباقي على ان تتولى إدارة المشروع ممثلة في "نينا". كانت "نينا" قد وقعت في حبه بشدة، وتنازلت عن حياة الرفاهية في المدينة لتتبعه في الصحراء والغابات؛ لتعاونه في بحثه، واستغلال المنجم. وبواجهان مشاكل رهيبة من الأسرة، ومن الممولين، ومن الهنود الحمر الذين يقع جزء من المنجم في أراضيهم.

الشخصيات الرئيسية

"نينا هوليداي": عارضة ازياء في وكالة ازياء تصوير لمجلات الموضة المشهورة، ومن عائلة غنية في "شيكاغو"

"مانيو لامارتين": مهندس مناجم وأستاذ في الجامعة اكتشف منجما ضخماً للذهب

"روسيل هوليداي": شقيق "نينا" الاكبر.

"كوكي" و"شوجارهوليداي": شقيقتان توءمتان لـ"نينا".

العم "بو": كبير عائلة "هوليداي".

العمة "أويل": زوجة العم "بو" وهي امراة حريصة ومثيرة للمتاعب.

"ليبرتي": صديقة "نينا" الحميمة.

الفصل الأول

وقفت "نينا هوليداي" وقد امسكت قبعتها بيد ورفعت إحدى ساقيها في الهواء تنتظر الومضة الخضراء لكشافات التصوير. كان المصور هو الذي اختار هذا الوضع للتصوير.. كان من الواضح أن راحة عارضاته وسعادتهن آخر ما يفكر فيه. صاح:

- إلى أعلى أكثر هذه الساق! وكوني طبيعية.

ثم انحنى "بيتر" على آلة تصويره ليراجع المنظر -على راحته- فوق نافذة عرض الصورة.. خشيت "نينا" -للحظات- أسوأ ما تتوقعه. ولكن يبدو أنه رضي، وأشار إلى فتاتين أخريين للانضمام لها.

- الآن دوركما أيتها الغاليتان.. ارفعا ركبتيكما إلى أعلى ما يمكن ثم اقفزا ناحية "نينا" بسرعة ورشاقة.

هجمتا في الحال وكلتاهما حيوية رغم حرارة الاستوديو التي لا تطاق، وثقل وزن ملابسهما. فكرت "نينا":

"إنهما لازالتا شابتين" ثم ابتسمت. أحست في تلك اللحظة بشد عضلي انتزع منها صرخة ألم. زمجرت وهي تنهار فوق أرضية التصوير.

- أوه! لم يبق سوى هذا!

بلغ الضيق بالمصور مبلغه، فرفع عينيه إلى السماء. أحاط به مساعدوه لمعاونته. ما العمل؟ إيجاد وضع تصوير آخر؟ أم تغيير الديكور؟ تبنوا الرأي الثاني. وضعوا مكعبا من الكرتون أمام "نينا" حتى تستطيع أن تضع عليه قدمها.

انحنت المشطة وأخذ الفريق مكانه حول "البلاتوه". صاح المصور ثانية:

- حسنا.. الجميع على المسرح.

تم كل شيء هذه المرة دون عقبات أو مفاجآت. وبعد انتهاء تصوير المشهد خرجت الشابتان من الاستوديو وهما تضحكان، وسارعتا جريا إلى قاعة الملابس لتبديل ملابسهما.

خلعت "نينا" أولا قبعتها ثم ذهبت للانضمام إليهم. وأثناء مرورها أشارت ملوحة للمصور الذي غطى العرق جبينه.

- حسنا يا "بيتر"! لقد أديت عملا رائعا!

- مع فريق كهذا ليس هناك ما هو أسهل من إنجاز العمل. والفتاتان البنتان الجديدتان.. أليس كذلك؟ إنهما حيويتان ورشيقتان! إنها لمتعة -حقا- العمل معهما!

أمام هذه الكلمات حاولت "نينا" أن تخفي إحباطها وخيبة أملها. قالت ببساطة توافقه:

- نعم إنها متعة حقيقية

تخلصت في حجرة الملابس -في الحال- من ملابسها الخانقة، ثم راجعت منظرها بطريقة غريزية في المرآة.. إنها لم تعد شابة كما كانت

في بداياتها. هذا صحيح ولكن لا ينقصها السحر والفتنة.

كانت الفتاتان بجوارها تثرثران وهما تتمايلان على لحن موسيقي حلو. لقد استدعيتا منذ قليل للسفر إلى "باريس" من اجل مناظر فوتوغرافية لمجلة الأزياء الشهيرة "فوج". وفي طريق عودتهما لو تم كل شيء على خير ما يرام فستصبحان آخر اكتشافات وكالة "هاريسون".

هذا كله سيحدث لهما تماما كما حدث لها في بداية مهنتها بعد رحلتها الشهيرة إلى "أوروبا".

قالت الشابة الشقراء لها وهي تشير إلى مقعد:

- اجلسي يا "نينا" من فضلك.

نظرت إليها "نينا" مشدوهة وقد تجهمت:

- ولكن ماذا تظنين؟ انني لم أعد أستطيع الوقوف؟

ومع ذلك لم ترفض هذا الاقتراح المريح جدا وجلست بعنف على المقعد. ازالت في البداية زينتها وهي تراقب -بطرف عينيها الرفيقتين- الجالستين بجوارها. ثم أخذت تمشط شعرها فترة طويلة. ورغم احتجاجات المصورين، ورغم اتجاهات الموضة فقد رفضت أن تقصه. ولكن هل هي على حق في اتخاذ هذا القرار؟

استرعت انتباهها صيحة صغيرة.

صاحت الشابة الأخرى السمراء بعد أن نظرت إلى ساعتها:

- أوه.. لابد أن أسرع بالذهاب. لابد أن أقابل أمي على قطار الرابعة والنصف.. أسرعي إذا أردت المجيء معي.

سارعت الشقراء بجمع امتعتها لتسرع وراء السمراء، وعند مرورها أمام "نينا" اصطدمت بها خفيفا وأوقعت حقيبة يدها الموضوعة على الرف.

تناثرت أشياء عديدة ومختلفة عند قدميها على الأرض: مختلف أحجام علب الكريم، أصابع أحمر الشفاه، وأقلام وفرش الظل، وامشاط

وفرش شعر، وبعض الروايات.. وبريد الصباح الذي لم تجد -بعد- وقتا لتقرأه. أرادت الشابة الشقراء أن تجمعها ولكن "نينا" منعتها.

- لا بأس.. دعيني افعل ذلك واجري لتلحقي بصديقتك إذا كنت لا ترغبين أن يفوتك القطار.

بدأت -وهي بمفردها في غرفة الملابس- في جمع حوائجها. كان من الفواتير والخطابات العديدة ظرف يحمل شعار واسم "وكالة هاريسون". أثار انتباهها. ففتحته لتقرأ محتواه وشحب وجهها فجأة وهي تقرأ السطور بسرعة: "الاستغناء عنها"؟!

كيف يمكن أن يحدث ذلك؟

اضطربت "نينا" وقرأت الخطاب عدة مرات. لقد تم الاستغناء عنها.. لا لبس في الأمر: إنه امر واضح وقاطع. طبعا هي تعلم أن العارضات عادة ما يكون عمر عملهن قصيرا. وهي لا تشك أبدا في ذلك. ولكنها لم تتخيل إطلاقاً -ولو للحظة واحدة- أن يأتي يوم يطلب منها -دون رغبتها- الرحيل. ما الذي ستفعله الآن وقد أصبحت بلا موارد؟ واست نفسها بصوت هامس:

"على الأقل انا لم اخسر كل شيء، فلايزال لدي شعري". ثم ارتدت ملابسها بسرعة وراجعت صورتها في المرآة لآخر مرة. لقد كانت كئيبة ومقطبة وليس بها حيوية ولا نضارة ولا شباب. أخذت تهمهم:

"ابكي ما عن لك البكاء بشرط ان يكون ذلك على كتف احد".

وقبل عودتها إلى بيتها قررت أن تتصل بصديقتها. قاطعتها في الحال ليبرتي:

- ماذا هناك يا "نينا"؟

- هل الأمر واضح هكذا من نفسه؟

- انت تعلمين انك لا تستطيعين أن تخفي عني شيئا.

- أولا، ليست لدي نية إخفاء شيء عنك أصلا. وما الفائدة؟ انا لم

أعد شيئا يذكر. لقد طردوني واصبحت لا شيء.. هل تفهمين؟

- ما الذي تحكينه؟

- لقد أنهى "هاريسون" عملي.. هل فهمت؟ باسابيع قليلة قبل الموسم.. موسم البيسبول! أعرف أنه لاينقصهم الشقراوات ولكن واحدة مخلصة مثلي.. لن يعثروا عليها ابدا.

- اسمعي: هذا مستحيل! لابد أن هناك غلطة.

أخذت "نينا" تهمهم على الطرف الآخر من الخط.

- إنها غلطة كما تقولين، ولكنها ليست منهم وإنما مني أنا.. وأنا المسؤولة عنها فقط ولقد ارتكبت منها العديد، وأنا ارفض أن اقص شعري، وارفض مهمة في "شيلي" وإنفاق كل أموالي من أجل ديكور شقتي..

تدخلت "ليبرتي" بصوت حاسم:

- لقد فهمت. أعتقد أنه لابد من عشاء في المنزل هذا المساء. ويمكننا أن نتحدث عن ذلك بينما "بليك" يقوم بأعمال المطبخ. لقد اخترع لتوه طبقا جديداً من الـ"لازانيا" وهو تحفة صغيرة.

- أنت لا تفكرين إلا في الأكل. إنه ليس حلا دائما.

- ربما.. ولكنه أفضل من غيره. هاك ما اقترحه عليك: لابد أن أمر على المكتبة العامة عند خروجي من العمل، وسأقابلك في قسم الأدب القديم.

- القديم؟! هل تفعلين ذلك متعمدة أم ماذا؟

- بالمزاج! لا تتحركي وسأحضر لأخذك.

كان قسم الأدب القديم -بعد ظهر هذا اليوم بالذات- خاليا تقريبا. جلست "نينا" على نفس المائدة التي يحتلها شخص واحد على الطرف الآخر.

استطاعت أن تقارن وضعها مع وضع صديقتها: ليست "ليبرتي" سعيدة في بيتها فحسب وإنما أيضا تشغل وظيفة ثابتة في قسم

اللغة الفرنسية بالجامعة. و"نينا" اليوم مستعدة للتنازل عن أي شيء في سبيل الحصول على نفس حظها، في أي مجال. فجأة سمعت صوت ضجة زحزحة مقعد على الطرف الآخر من المائدة. ولكنها لم تعره انتباها لانهماكها في أفكارها، ثم وقف خيال إلى جانبها، ومال نحوها ليضع ورقة أمام عينيها قائلا:

- أرجو المعذرة لإزعاجي لك.

رفعت "نينا" رأسها ورمقت انتظارها جسمه الطويل القوي لتستقر على قميصه مفتوح الصدر. اضطربت أمام هذا المنظر غير المعتاد في المكتبة، فاحست بالحمرة تثلوب وجهها. أصابها الفزع فرفعت رأسها أكثر وهي تحاول أن تتماسك، ولكن هذا الوجه القريب جدا منها جعل قلبها يرتجف. أحست بغصة في حلقها واستمرت في فحصه وقد التزمت الصمت من شدة الانفعال.

قال:

- أنا لا افهم شيئا من هذه القصة.. وقد فكرت أنك ربما تستطيعين أن تعطيني فكرة تساعدني.

تنهدت وأنفاسها شبه مقطوعة:

- أية قصة؟

- محتوى هذا الخطاب.

لم تنظر إلى الخطاب وقالت:

- أنا؟! لابد أنك تمزح.

- خذي وقتك. ربما يكون حظك أكثر من حظي. إن ذلك سيخدمني جدا لو فعلت.

سحب مقعدا دون أن يستأذنها وجلس بجوارها. انتهزت الفرصة لتفحص -بدقة- تقاطيعه المتناسقة، وجبينه المرتفع، وأنفه المستقيم، وعينيه الماكرتين السوداوين. ماذا يفعل رجل مثله في مكتبة عامة بعد

ظهر جميل كهذا!" تابع حديثه وقد بدا عليه البؤس

- لقد حضرت من "ميتشيجان" لدراسة هذا المستند. ولقد قلبته على جميع جوانبه دون جدوى.

خفضت "نينا" عينيها تحاول أن تستعيد قدرتها على التفكير، والتفحص بإمعان الخطاب المعني. كان مكتوبا بخط كالطلاسم وكأنما كتبه حبيب بليد في الخط، الأمر الذي جعلها تشرد بفكرها.

- ما هذا؟

- إنه بالفرنسية كتب حوالي عام ١٦٦٥.

- آه.. حسنا.

راقبته بطرف عينيها فابتسم ثم قال:

- حسنا.. سأعترف بكل شيء: في الحقيقة لقد استغللت الخطاب لأتقرب منك. منذ وصولي المدينة وعيناي لم تقعا على امرأة جميلة مثلك!

قالت ببساطة:

- آه.. حسنا.

ما هذا الحديث؟ لو استمرت هكذا فإنه لن يتأخر في الهرب. ومع ذلك فإن مجاملته لها وصلت قلبها مباشرة.. اللعنة على "هاريسون" إنهم باستغنائهم عنها لا يعلمون قيمة ما فقدوه.

استأنف الشاب حديثه بمرح:

- لقد قضيت كل ما بعد الظهر مع هذه الصفحة، ولم أستطع أن أستخلص منها شيئا. وأرى أنك لن تستطيعي أن تساعديني بترجمتها. فعلى الأقل اقبلي مني قدح قهوة لترفعي من روحي المعنوية!

يا لخياله الخصب! إنه غريب عن المدينة وبالتأكيد يبحث عمن تصاحبه. ومع ذلك لم ترفض دعوته. أخذت حقيبة يدها لتتبعه عندما

حضرت "ليبرتي" لتلحق بها كما كان الاتفاق بينهما. ولأول مرة -منذ زمن بعيد- لم تسعد "نينا" بحضورها في موعدها.

اتهمت "ليبرتي":

- هانا جئت أخيرا! أتعشم ألا أكون قد جعلتك تنتظرينني طويلا؟

- طبعا لا.. إنني ببساطة أحاول أن أساعد هذا السيد في فك طلاسم هذا المستند.. إنه بالفرنسية.

أشارت إلى الورقة على المائدة. قالت "ليبرتي":

- بالفرنسية؟

- هل تحبين أن تلقي نظرة عليه؟

أعطى الرجل المستند في الحال لـ"ليبرتي" دون أن يرفع عينيه عن "نينا". لم تحتج "ليبرتي" لأي نوع من الإلحاح وجرت عيناها بسرعة على المستند. أحيانا ما يسيطر عليها حبها للغة الفرنسية أكثر من حبها للطعام. أجابت أخيرا:

- لم أكن أعرف أن جامعتنا تمتلك مثل هذا المستند القديم جدا. أريد أن أعرف كيف استطعت أن تنجح في إقناع رجال الأرشيف عندنا بإعطائك هذا الكنز؟

أحس الغريب بالسرور من هذا التعليق.

- طبعا بفضل إصراري وبالثروة التي أنفقتها في مكالمات تليفونية وعندما حضرت بنفسي أصرت المسؤولة على الحصول على أدق التفاصيل والمعلومات قبل أن تجيب طلبي.

انفجرت "نينا" ضاحكة وكذلك "ليبرتي":

- أعرف جيداً عزيزتنا الآنسة "الكوت".

- أرى أنك معتادة على المكان. فضلا عن أنني أدركت أن مجرد نظرة منك جعلتك تعرفين موضوع الخطاب. هل يمكنك حل شفرته؟

- نعم. ولكن يلزمني بعض الوقت.

- رائع! لنناقش الأمر في الحال.

ترددت "ليبرتي" قليلا والتفتت نحو "نينا":

- إن زوجي سيمر ليصحبني من أمام المدخل. اقترح أن نخرج لمقابلته، وأثناء ذلك نناقش ما علينا أن نفعله.

- سأحضر حوائجي وأتي.

انتهزت "ليبرتي" فرصة ذهاب الرجل لتسأل "نينا":

- يبدو عليك الاضطراب التام. إنني أتساءل ما الذي استطاع أن يفعله بك لتصبحي في هذه الحالة. من هو؟

- ليست عندي أدنى فكرة.

سألت "ليبرتي" وهي مذهولة تماما:

- لا تعرفينه؟

- هيا.. لا تقولي لي: إن هذا لم يحدث لك من قبل!

- بالتأكيد حدث. ولكن أبدا لم يحدث مع رجل مثله.

تقابلوا في الدهليز وهم في طريقهم إلى الخروج مع الآنسة "الكوت" مرتدية زيها الآلي الرسمي. حيث المجموعة الصغيرة قبل أن تحدث الغريب:

- حسنا يا سيد "لامارتين" هل وجدت أخيرا ما كنت تبحث عنه؟

- ليس بالضبط ولكني على وشك ذلك.

- أنا سعيدة من أجلك ولا تنس أن تطلعني على مجريات الأمور بالنسبة لمشروعاتك.

- هذا وعد. وشكرا مرة ثانية. فقد كنت لي عونا كبيرا.

همست "ليبرتي" في أذن صديقتها بينما الآخران يثرثران:

- شيء لا يصدق! يبدو أن أي امرأة لا تستطيع أن تقاومه حتى عزيزتنا الآنسة "الكوت"!

قالت "نينا" وهي لا تلقي بالا إلى تعليق صديقتها:

- "لامارتين"؟!

رفعت "ليبرتي" عينيها إلى السماء وقالت:

- نعم. ولكن الآنسة "الكوت" على الأقل كانت منتبهة لدرجة التحري عن اسمه.

أثناء انتظارهم "بليك" قدم لهما "ماتيو لامارتين" شرحا عن بعض نشاطاته. تدريب على العمل كمهندس مناجم، ووظيفته كمعلم في جامعة "ميتشيجان" للتكنولوجيا، وأبحاثه حول عرق من الذهب موجود شرق البحيرة العليا، وأسباب رحلته إلى "نيويورك". وخطاب التكليف بالمهمة المكتوب في كندا يتحدث عن عرق الذهب، ومنجم الأحجار الكريمة المكتشف في القرن السابع عشر في المنطقة. وكان "ماتيو" -من ناحيته- يأمل أن يحدد موقعها بمنتهى الدقة نتيجة دلائل المستند.

لم تكن "نينا" تنصت إليه إلا بأذن واحدة. إنها مضطربة من وجود ذلك الغريب المجهول: فلم تستطع أن تركز انتباهها على حديثه.

- قبل حضوري عملت في محاولة لفك طلاسم المستند مستخدما معرفتي بالفرنسية، ولكن كما ترين فإن ذلك لم ينفعني بشيء. في الحقيقة لولم الثق بكما لعدت بخفي حنين الخبط مرة ثانية اعتبارا من هذا المساء..

"هذا المساء"! أيقظت هذه الكلمة -فجأة- "نينا": هذا المساء! كيف يمكن أن يحدث ذلك! إنها بدأت في تقليب خططها.. استعادت فجأة بقظة تفكيرها وقاطعته:

- فور الانتهاء من الترجمة سنرسلها لك.

غارت "ليبرتي" لصديقتها جرأتها.

ولكن "بليك" لم يفعل ودهش من اقتراح "نينا":

- هيا.. هيا! لم أكن أعلم أنك مهتمة بالفرنسية القديمة يا "نينا"..

هذا جديد علي!

تدخلت "ليبرتي" وهي تحدج زوجها بنظرة ماكرة:

- إنها فقط تحاول أن تساعد السيد "لامارتين".

- كما ترى فإنني بين أيد أمينة.

انفجر "بليك" ضاحكا.

- هذا ما أراه. في هذه الحالةأعتقد أنه لا جدوى من الاحتجاج. أنا أعرفهما تماما.. عندما يكون عندهما فكرة في رأسيهما.. هل تنضم إلينا على العشاء؟

قاطعته زوجته قبل فوات الأوان:

- لقد نسيت يا "عزيزي" أننا سنخرج هذا المساء، ثم يجب أن نسرع إذا أردنا ألا نصل متأخرين وبما. في مرة أخرى.

- هل سنخرج؟

لكزت "ليبرتي" زوجها خفية في جانبه.

- هل فقدت ذاكرتك يا عزيزي أم ماذا؟!

فهم "بليك" -في الحال- إلام تهدف.

- أوه.. فعلا.. إننا مدعوان إلى منزل "شنيتزل" كيف أمكنني أن أنسى؟

بعد ذلك امسك بذراع زوجته واستعد للابتعاد.

قالت "ليبرتي" من وراء ظهرها:

- سأتصل بك يا "نينا" غدا وسيسعدني أن أحل شفرة هذا المستند. اتفقا معا واعطياني نسخة منه في أقرب وقت ممكن.

التفت "ماتيو" نحو "نينا" وعيناه تومضان في مكر. كان من الواضح أنه فهم أن المرأتين تآمرتا عليه. كانت "نينا" تدرك أنه فهم، ولكنها لم تكن تعرف إلام انتهى فكره. كيف تجرأت؟ كانت في حالة من التوتر من الصعب معها أن تظل ثابتة في وقفتها. قال "ماتيو" معلقا:

- إنهما لطيفان!

- إنهما أكثر من ذلك.. وإذا كان هناك ذهب في هذا المستند فأؤكد لك أن "نينا" ستساعدك في العثور عليه.

قال وهو يدس يديه في جيبي سترته:

- إن هذا يذكرني بأننا خرجنا لتناول القهوة، والساعة الآن تقترب من وقت العشاء.. إنني أعدك أن اقص عليك قصصا مشوقة.

- في هذه الحالة ساعد لك الوجبة.

- اتفقنا.. ولاعبر لك عن امتناني ساعطيك دليلا حالاً على موهبتي. انصتي إلي ما أنا قادر عليه من بلاغة: إن عينيك أكثر زرقة من السماء في جزر الكاريبي صيفا!

اعترفت وهي تضحك:

- ليس سيئا.

- يبدو أنك غير مقتنعة. وإذا قلت لك: إن عينيك أكثر زرقة من السماء الصافية؟

- ألا يزال لديك المزيد من هذا النوع؟

- سلسلة كاملة. ولكن لدي إحساس أنك تريدين مني أن اتفوق على ذلك، ولكن نظرا للحالة التي تضعيني فيها فإن ذلك يصبح صعبا. في الحقيقة أنا لم أشاهد -في حياتي- عينين بهذه الزرقة.

قالت هي ببساطة:

- عيناك ستنافيتان!

- حسنا.. قبل أن يغلقوا الأبواب سأذهب لآخذ حاجاتي. صعد السلم كل أربع درجات دفعة واحدة. ثم اختفى داخل المكتبة بينما "نينا" تتابعه بنظراتها.

أثناء طريق العودة إلى البيت اشتريا حاجات إعداد العشاء.

قالت له مقترحة بالنسبة للحلو:

- ما رايك في فاكهة الكيوي؟

- اعتقد انني لا اعرفها

- لا تقل لي إنك لم تراها من قبل؟

- لا تنسي انني اتيت من قرية صغيرة حيث لا تعرف اعاجيب المدينة.

- هيه.. إن "هوتون" ليست صغيرة لهذا الحد.

- هل سبق لك ان ذهبت إليها؟

- في وقت ما كنت اذهب إليها كثيرا. إن عائلتي اصلها من "شيكاغو". وعندما كنت صغيرة كنا نقضي الصيف في منزلنا بالقرب من البحيرة على قرب من "هوتون". وهكذا تجد اننا كنا جيرانا.

- نعم.. بطريقة ما. ولكني كنت اعيش على الجانب الآخر من الحدود.

- إنها منطقة جميلة جدا!

- نعم.. هذا صحيح. ولهذا السبب كانت دائما ما يغزوها اهل "شيكاغو". إنهم يأتون إليها وجيوبهم عامرة ويقضون اوقاتهم في مضايقة الفقراء.

أمام رد فعله ندمت على حديثها عن بيت عائلتها على ضفاف البحيرة. كيف نسيت الهوة بين من كانوا يقضون إجازاتهم الترفيهية وبين السكان.

- ربما.. ولكن لم تكن تلك الحالة تنطبق علي.

- رغم الذباب والناموس وضربات الشمس؟

- مهما قلت فإنني كنت اعشق تلك العطلات، ولازلت احتفظ عنها بذكريات سعيدة رغم انني فتاة من "شيكاغو" كما تقول.

- أريد -حقا- أن اصدقك ومع ذلك يصعب علي أن اتخيلك بعيدة عن المدن الكبرى. إن ما لا اطيقه هو معاملة الفلاحين على انهم بخلاء.

والهنود على انهم سكارى، ورجال المناجم على انهم مشاغبون.

- إذن انت تنتقم عن طريق معاملة اهل "شيكاغو" على انهم متحذلقون وخادعون. وانا التي كنت اظن ان الاساتذة لديهم إحساس طيب.

- إنهم رجال مثل بقية الرجال.

- كلهم بلا استثناء؟

- لا. ليس كلهم ولكن نعم بالنسبة لي.

سارا في صمت حتى شقة "نينا". هي شاردة في افكارها وهو مضطرب لدرجة لا تسمح له بالكلام. إنهما تعارفا في التو، ومع ذلك تطرح على نفسها العديد من الأسئلة: لماذا هو حساس -لهذه الدرجة- بالنسبة لأصله؟ لماذا هي منجذبة لهذه الدرجة إليه؟ لماذا قبلت -بكل سهولة- دعوته على العشاء؟ ولماذا دعته إلى شقتها؟ هل خطاب وكالة التصوير هو الذي وضعها في هذه الحالة؟ هل تحاول أن تثبت أنها لازالت تتمتع بالسحر والفتنة؟

عندما فتحت باب الشقة دخل "ماتيو" على أطراف قدميه وكأنه يسير على قشر بيض. ما الذي يخشاه؟ هل يظن انها زرعتها بالالغام؟ همس في إعجاب:

- فاخرة! كل هذه الشقة لك بمفردك. أليست كبيرة؟

- في البداية كنت اشارك فيها "كيمبرلي"، ولكنها رحلت لتتزوج وقررت الاحتفاظ بها.

- إنها فاخرة جدا. إنها تشبه الصور في مجلات الديكور.

- لقد تم تجديدها بالكامل.

- فهمت. لماذا تتعبين نفسك في التنظيف مادامت لديك إمكانات التجديد؟

إنه لا يفلت فرصة إلا ليذكرها بالفرق بين مستواهما.

هل سيتمكنان من اجتياز تلك الفجوة؟ إذا لم ينجحا في ذلك فإن علاقتهما لن ترى النجاح.

اخذت سلة المشتريات ووضعتها في المطبخ. ظل "ماتيو" بمفرده وأخذ يفحص أركان الشقة. إنه يحس -داخل هذه الشقة الفاخرة- انه اقل ارتباطا عما كان في المكتبة. أخذ رواية من فوق المائدة المنخفضة ثم أخذ يتصفحها بسرعة. وعندما عادت "نينا" وجدته بجوار الأريكة واقفا يتصفح مجلة. قال:

- إنني أستسلم! عدا بعض الكتب فإن كل ما في هذه الشقة جديد وكأن أحدا لا يسكن هنا. هل تعيشين فيها من وقت لآخر؟

- نعم. ولكن ليس دائما: لانني باستمرار في الخارج.

- تبحثين عن وسائل لإنفاق أموالك؟

- ألا تجد نفسك مضحكا؟

قال متابعا حديثه بنفس الطريقة وهو يلقي نظرة على إحدى الروايات:

- أم في البحث عن امير الاحلام؟

- طبعا. وأيضا في القيام بجولة في مكتبات المدينة قبل العودة. ولكن في الحقيقة لو اردت ان تعرف كل شيء فإنني من اربع ساعات مضت كنت اعمل عارضة.

- وماذا حدث خلال الساعات الاربع؟

- لقد فقدت وظيفتي ومواردي. إذن احتفظ بسخريتك لانها لم تعد تخصني.

ادارت له ظهرها واسرعت إلى المطبخ. ولكن "ماتيو" امسكها من ذراعها ليمنعها من الهروب.

- سامحيني يا "نينا".

- هذه المرة أنت تطلب مني الكثير.

- وإذا قلت لك: إنني خائف.

- خائف؟! أنت خائف؟! وتريد مني أن أصدقك؟

- لست في مكاني كما تعلمين.

عرفت في تلك اللحظة -بالذات- انه لا يلمح إلى أسرتها ولا إلى شقتها وإنما كان وجودها هو الذي يسبب اضطرابه. كانت تحس ذلك؛ لانها هي أيضا كانت تعاني من نفس السبب. ولكن لم يبق لهما سوى بضع ساعات قبل رحيله. بضع ساعات حتى تسترد ثقتها في نفسها وبالتالي تمنحه الثقة.. هل سيتمكنان من ذلك؟ ربما كان عليها أن تمنحه آخر فرصة. فبعد قليل سيصبح بعيدا جدا.. قالت له مقترحة بصوت لاهث:

- لننس ما حدث ولنبدأ من الصفر. ما رأيك؟

استرخت تقاطيع وجهه شيئا فشيئا ثم ابتسم:

- اتدرين انك لو صدمتني في المكتبة لتبعتك حتى هنا ولعسكرت امام شقتك حتى تشفقي علي؟

- وماذا كنت ستفعل لو قبضت عليك الشرطة؟

- لن اعاني مشكلة ساعتها لان الشرطة لو رأتك لعذرتني، وأطلقت سراحي في الحال.

- الم يكن من الأسهل ان تخبرني بذلك رسميا؟

- عن طريق الاعتراف لك بالخطابات بعد عودتك؟ لقد فكرت في هذا طبعا. ولكن ذلك لم يكن عمليا: انت هنا وانا على الطرف الآخر من البلاد.

- "هوتون" ليست بعيدة لهذا الحد.

- بعيدة بما يكفي. وعلى أية حال لقد كنت خائفا جدا أن تحسبني لدرجة انني لم افكر فيما افعله عندما لم تفعلي وقبلتني!

- وهل الموضوع خطير لهذه الدرجة؟

- لا.. ولكن..

- ولكن؟

- عندما رأيتك يا "نينا" أحسست في الحال أنك امرأة استثنائية ولكني كنت أشك في نقطة.

- لست أفهم.

- إن نمطي حياتينا يختلفان ويتفاوتان: أنت تعيشين في "نيويورك" حياة فاخرة مثل سمكة وسط الماء. وأنا قضيت كل شبابي في الريف وسط الغابات والبحيرات، وما إن وطئت قدماي مدينة كبرى حتى أحسست أنني ضائع تماما.

- لقد اتفقنا ألا نعيد الحديث في ذلك.

- إنني أحاول فقط أن أشرح لك..

قاطعته بشدة:

- هذا غير صحيح! أنت لا تشرح شيئا. أنت متمسك بشدة بأن تثبت لي أننا لسنا من نفس الوسط وأننا لن نصبح أبدا كذلك. إنك تصنفني -أيا- حسب طريقة حياتي وبيئتي في فئة معينة. أنت تعاملني وكأنني مجرد منتج للاستهلاك. فهل تسمي ذلك شرحا؟

خفض "مانيو" عينيه وهو متضايق

- لقد أخطأت فسامحيني. إن وجودك قلب حالي وأفقدني اتزاني لدرجة أنني لم أعرف ماذا أقول، ويجتاحني -أحيانا- شعور بأنني فقدت عقلي.

- هل تعرف أن هذا مرض خطير؟

- وهل تعتقدين أنني سأشفى منه في يوم ما؟

- ربما. ولكن كل ذلك يعتمد على العلاج، وبشرط أن تقع بين أيد أمينة.

ابتسمت له أخيرا فأعلن وقد أشرق وجهه:

- أنت وحدك التي تحكمين على ذلك.

بعد العشاء ظلا وقتا طويلا يثرثران، ويمزحان وقد قررا استئناف الحديث في الصالون. تحدثت كثيرا عن طفولتها وماضيها ومهنتها. وكان معظم الوقت هو المستمع، ومن حين لآخر كان يعطيها نبذات عن حياته. اكتشفا أن لهما ذوقا مشتركا في حب البيسبول، والموسيقى الفولكلورية، والروايات، وحبهما للبحيرات الكبرى.

ثم حدثته عن أسرتها وعن مغامرات عماتها:

- لا تقولي لي إنها عائلة خطيرة!

همهمت وهي شاردة تفكر:

- بل صعبة بوجه خاص.

- وهل هذا يضايقك؟

- نعم أحيانا.

- ولكن ألم تفعلي شيئا لتغيير ذلك؟

- هذا صحيح.

جاءت الضجة في الشارع لتعيدهما -شيئا فشيئا- إلى أرض الواقع. استأنف بعد لحظة صمت طويلة:

- أتدرين؟ إنني لا أكف عن التفكير في كيفية الرحيل دون أن أتكبد الكثير من الخسائر.

نظرت إليه "نينا" مندهشة. كانت تتوقع منه كل شيء إلا هذا. تلعثمت وقالت بصوت منخفض:

- هل تريد الرحيل؟

- لست أدري.

- هل أنت مضطر للرحيل في هذا المساء؟

- لابد أن أستأنف محاضراتي اعتبارا من صباح الاثنين، ولكن يمكنني أن أرحل غدا وأقود السيارة مباشرة إلى "هوتون"

- وإذا بقيت؟

- نعم.. ولكن هذا لن يحل المشكلة.

أحست "نينا" بقلبها ينقبض فجأة. تساءلت:

- "هل هو متزوج مثلا؟ وهل لديه أطفال؟"

ربما لهذا السبب يحلم بالعودة في أسرع وقت إلى بيته رغم الانجذاب الشديد الذي بينهما.

سألته لتضع النقط على الحروف ولترتاح قلبها:

- أين هي إذن المشكلة؟ لا تخش شيئا وحدثني بصراحة.. أنا قوية وأعلم هذا..

تصلبت يد "ماتيو" فوق يدها للحظات. توقعت أسوأ الاحتمالات. قال وهو يهز رأسه:

- لا أعتقد ذلك.. لا اعتقد انك قوية وإلا لبقيت ساعات أخرى معك.

- ولكن ربما وافقت لو طلبت مني ذلك.

- ربما.. ولكني لا أريد أن تمر الأمور بيننا على هذا النحو.. إنني اوشك أن اقع في حبك.

ضحكت وهي تشعر بالمرح.

- وهل تسمي هذا مشكلة؟

- هذا بسببك.. أليس كذلك؟ إنني افهم دهشتك.. لقد مر الأمر بسرعة.

- إذن لماذا ترحل؟

- هذه ليست رغبتي ولكن..

- أرجوك ابق!

www.rewity.com
Hindoda

الفصل الثاني

أضاءت ابتسامة وجه "ماتيو" وقال:

- أنت لا تسهلين علي الأمور.

- لم يبق لنا سوى وقت قليل ولا أطلب منك سوى ان نمنح انفسنا بعض الساعات حتى نفهم ماذا يجري بيننا وبداخلي قبل أن تختفي للأبد.

- أتريدين أن تقولي: إنني إذا كنت متمسكا بك حقا لبقيت دون تردد؟

- بالضبط.

- وكأنك تظنين انه لا رغبة لي في ذلك.. أنت لا تعرفين مدى لهفتي على أن أظل معك!

- ولكن إذن أين هي المشكلة؟

- إن اصلينا.. وعائلتينا مختلفان.

- لا يمكن أن تكون جادا يا "ماتيو"!

- لسوء الحظ انا جاد. تصوري رد فعل محيطك من الناس. استاذ جامعة بسيط من "هوتون"! لاشك انهم يفضلون أن يجدوك تصاحبين أستاذا راقيا من "هافارد" أو "برنستون". ولكن من البلدة التي أتيت منها حيث يعيش معظم سكانها في بطالة فاعتبر -انا- بطلا. لقد نجحت وهذه ليست حالة معظم الناس.

- هيه.. إن الحياة في "هوتون" ليست قاسية كما تصورها.

- إنني لا أتحدث عن "هوتون" يا "نينا"! بعد أن تم الطلاق بين والدي صحبتني امي انا وأخي لنعيش بين اسرتها في "كندا". وانا لم أت"هوتون" إلا فيما بعد. وحياتي في "كندا" كانت تعتبر فاخرة بالنسبة لحياتي في "هوتون".

- لست افهم. كان من المفروض أن تكون فخورا لانك نجحت. لو كنت مكانك لفعلت ذلك بالتاكيد.

- لا أعتقد ذلك.. إنك لم تكوني لتفعلي لو قضيت طفولتك بين ناس فقراء. الحياة بالنسبة لهم تتدهور يوما بعد يوم دون أمل أن تتحسن في يوم ما. كنت سافخر بنفسي لو استطعت أن اهب لمساعدتهم وانزعهم من الوحل.

- هل تظن انني غير قادرة على التعاطف؟

- لا.. ولكن كيف يمكنك أن تضعي نفسك مكان رجل لا يستطيع أن يفي بحاجات أسرته لانه لم يكن لديه عمل منذ سنوات؟ هاهو قد مر عليك بضع ساعات فقط دون عمل وتعتبرين نفسك قد اصبحت فقيرة بالفعل! إنك لم تواجهي ابدا هذا النوع من الصعوبات يا "نينا". إنك لم تضطري للعراك من أجل الحياة. لا يمكن أن تفهمي.

- ولكن هذه ليست مشكلتك.

- هنا انت مخطئة. لقد عشت بين هؤلاء الناس. لقد شاطرتهم

افراحهم وأتراحهم على حد سواء. كيف يمكنني أن اتخلى عنهم الآن؟

- انا لم أطلب منك أبدا أن تفعل هذا.

- اعلم ذلك.. ولكنك تجدين صعوبة في إدراك أن هذه البلدة، وهؤلاء الناس جزء من حياتي مهما فعلت. انا مختلف تماما عنك يا "نينا". وليست لدي ادنى فرصة للاحتفاظ بك.

- إننا لم نتعارف إلا منذ قريب!

صاح وهو يضم قبضتيه:

- اترين! انا بالنسبة لك لست سوى مغامرة. لقد فاجأتك دون توقع وتركت الامور تسير على هواها. ولكن ما إن تعثري على وظيفة جديدة فسرعان ما ستنسينني.

- ولكن ماذا تنتظر مني غير ذلك؟

- لست ادري. معك لم أعد اعرف نفسي. إن الأوز البري يظل لثنائيا مدى حياته. هل تعرفين ذلك؟

- إذن لنحاول! فإذا لم يفلح الأمر فيمكننا أن نفترق دون ندم.

- اتظنين ذلك؟

- لا.

خفضت "نينا" عينيها. كانت وهي صغيرة قد قرات العديد من الحكايات الخرافية عن الجنيات، ولكنها لم تفكر أبدا أنه في يوم من الأيام ستقابل أميرها الساحر، الذي يعطي اهمية كبرى لأن يبادلها لحظات من السعادة، والذي يتحرق شوقا لأن يرحل؛ لأنه يموت رغبة في البقاء!

- "ماتيو"!

- لا تقولي شيئا من فضلك.. لا تزيدي وضعي تعقيدا.

- ولكني أحب جدا أن أمنعك من الرحيل.

- يبدو أنك نجحت في تعقيد حياتي.

قبض على يدها بشدة ليتركها في الحال ونهض قائلا:

- لابد أن أرحل. سيفيدني أن اقود السيارة ليلا.

أخذ حقيبته الموضوعة بالقرب من الباب وخرج إلى الدهليز. حاولت "تينا" -بالسلب- أن تجد وسيلة لمنعه من الرحيل: إنهما لا يزال أمامهما أشياء عديدة يتحدثان فيها. كيف يمكنه أن يتركها وقد التقيا منذ قليل. صاحت فجأة:

- "ماتيو"! وخطابك؟

- أي خطاب؟

- المستند الذي حضرت من أجله من "نيويورك".

قطب جبينه لحظة قبل أن يفهم ماذا تعني.

- آه.. فهمت.. لقد نسيته تماما.. أترين إلى أي حالة وصلت؟ بسببك!

- اسمع: يضايقني أن ترحل دون أن تترك نسخة مصورة منه لـ"ليبرتي".

ترددت لحظات ثم قالت:

- إنني اقترح: إن لدي حجرة للضيوف يمكنك أن تقضي فيها الليلة وغدا.

- لا تحاولي إغرائي يا "تينا"!

- اسمع.. يضايقني أن ترحل دون أن تترك نسخة مصورة منه لـ"ليبرتي". ترددت لحظات ثم قالت:

- إنني اقترح..

- اسمع.. إنني أعرض عليك اقتراحا صادقا، ولكني لا أحاول أن أجعلك تغير رأيك. والآن، إذا كنت متمسكا بضرورة الرحيل فارحل في الحال، وكف عن اللف والدوران!

كانت عيناها مذيبتين بالدموع.

- اسمعيني يا "تينا"..

صاحت وهي تنشج بالبكاء:

- أنت الذي يجب أن يسمعني: إن لدي رغبة أن تبقى ولا أحاول أن أخفي ذلك. ولكني لا أعدك بشيء.. وكيف يمكنني ذلك؟ نحن في النور تعارفنا! ولكن ليس من حقك أن ترفضني دون أن تمنحني أدنى فرصة.

- أنت لا تعرفين ما ينتظرك.

- بالضبط وهذا الذي يدعوني للرغبة في معرفته.

- ولكن..

- لا تحاول أن تحميني يا "ماتيو". أنا بالغة بما يكفي ولا أخشى المغامرة من أجل شخص يستحق فعلا أن أغامر. وأنت تستحق ذلك والباقي لا يهمني.

- هل أنت متأكدة؟ كم أحب أن أصدق ما أسمعه!

- هل الموضوع صعب لهذه الدرجة؟

مسح دموعها بطرف إصبعه:

- من فضلك لا تبكي.

- أنت لم تجب على سؤالي.

- وعائلتك؟ ماذا ستظن؟

ظهرت ابتسامة خفيفة على شفتي "تينا".

قالت مازحة:

- هل تعتبر نفسك سعيدا لو علمت أنها في "شيكاغو". إنها أقرب إلى "أوتون" من "نيويورك".

- ومع ذلك لابد أن أرحل غدا.

- اعلم ذلك ولكن غدا بعيد. ثم إذا رأيت البانيو في حمامي فلن تتمكن على البقاء.

سحبته من يده إلى الحمام لتثبت له صحة كلامها، ثم فتحت حجرة

كبرى فاخرة الديكور والاثاث مجهزة بكل اجهزة اللياقة البدنية.

- والآن القرار قرارك. إن حجرتك بجوارها وحجرتي في مواجهتها في حالة ما إذا احتجت لشيء ما.

- فهمت.

قالت له وهي تنظر في عينيه بثبات:

- أرجوك الا تتردد.

أغلقت "نينا" باب حجرتها عليها وقررت أن تقرأ رواية، ولكنها سرعان ما أدركت أنها عاجزة عن ذلك. أخذت تقلب صفحات رواية اختارتها عشوائيا ثم تركتها مستسلمة. هذه الليلة ذهنها في مكان آخر!

عندما سمعت "ماتيو" يخرج من الحمام جلست في سريرها وقلبها يدق بشدة. هل سينام؟

أصاخت السمع وسمعت صوت قدميه في الدهليز، ثم انفتح باب وانغلق. لسوء الحظ لم يكن بابها. أطفأت النور. من غير المجدي أن تنتظره لأنه لن يأتي.

لم تستطع الظلمة أن تهدئ من خيالها الشارد.

أغلقت جفونها. ومع ذلك لم تكف عن التفكير فيه. أخذت تتقلب في سريرها - في عصبية - عاجزة عن النعاس. غدا بعد أن يتم تسوية أعماله سيأخذ طريقه إلى الشمال. لن تجد أي عذر لتمنعه، وربما لن تراه بعد ذلك أبدا.

أصابها الجنون من فكرة ألا تراه أبدا فنهضت وأخذت تذرع الحجرة ذهابا وإيابا كحيوان حبيس القفص. ماذا تفعل؟ إذا استمر "ماتيو" في الاعتقاد أن علاقتهما محكوم عليها مسبقا بالفشل بسبب أصله فكيف يمكنها أن تقنعه بأن يغير رأيه؟

عجزت عن إغماض عينيها فقررت أن تعد لنفسها مشروبا ساخنا. لم

تحسبها الأفكار المستمدة من وصفات العمة "أويل" والعم "بو". انهمكت في العمل في المطبخ عندما دخل "ماتيو". قال:

- لدي أنا الآخر اقتراح لك. مارايك في حكاية رائعة أفضل من هذا المشروب؟

أمام هذا العرض المغري لم تتردد "نينا" وقبلت دون أن يلح عليها. سحب وقدحها في يدها، حيث تمدد "ماتيو" على الأريكة وجلست "نينا" القرفصاء على الأرض. سألته:

- ما الذي جعلك تغير رأيك؟

ابتسم لها وقال:

- الدش البارد المعتاد. أنا لم أحل مشكلتي، ولكني نجحت في أن أراها بوضوح أكثر.

- وانتهى بك الأمر إلى أنه من الأفضل ألا نفسد الوقت القليل الباقي لنا معا.

- بالضبط.

تجرعت جرعة كبيرة من اللبن الرايب وقد التمعت عيناها من السعادة والبهجة. بعد أن توقعت الأسوأ أحست فجأة بالارتياح.

- رائع! والآن كما وعدتني انتقل إلى الحكاية، وإذا لم ترغب في محادثتي عن ماضيك فعلى الأقل حدثني عن حاضرك. عن انشطتك وهوايتك وبالأخص طالباتك. أنا واثقة من أنهن كثيرات وينتظرنك عند خروجك من محاضراتك وهن يحلمن أن يصرن في يوم ما مهندسات معماريات.

- فعلا. إنهن يعشقن خروجنا إلى مواقع الدراسة في الصيف والمسيرات الطويلة في الغابات والتجارب والأبحاث.

- وأيضا الليالي الدافئة في ضوء القمر؟

- لا. إن الليالي الدافئة في ضوء القمر ليست في متناول يد الجميع

فقط الشقراوات ذوات العيون شديدة الزرقة والطويلات النحيفات من اللاتي لهن هذا الحق. والشرط الأخير الا يقل السن عن. إنني أجهل حتى سنك.

- لا أفضل الحديث في ذلك إذا لم يضايقك ذلك. إن وكالة "هاريسون" استغنت عني بسبب شيء. على أية حال لست شابة بالقدر الذي أبدو عليه.

- من يدير تلك الوكالة؟ هل هو أعمى؟

- امرأة.. وهي ليست عمياء على الإطلاق. في مهنتها: المانيكان عندما تبلغ الخامسة والعشرين تصل إلى نهايتها. ومادام العرض موجودا فإنهن يستمررن في الحياة والبقاء.

ولكن ما إن تبدأ الطلبات تقل لا يهتم بهن المصورون فإن مهنتهن تنتهي. وعندها تطلب الوكالة منهن - بأدب - الرحيل.

- إنه وسط رائع!

- أتدري.. يجب أن تكون قاسيا في الأعمال إذا أردت أن تنجح. وكنت سأفعل نفس الشيء بالتأكيد عندما يكون عندي وكالتي الخاصة.

- أنت قاسية؟ إنني لا يمكن أن أصدق ذلك.

- ومع ذلك فإنه ضروري أن أكون قاسية. لقد شعرت بالخوف الشديد في البداية عندما علمت بالخبر، وكأنما حياتي توقفت فجأة. ثم كان في ذهني العديد من الأمور بدأت شيئا في شيء أكف عن التفكير فيها.

- يفضلني طبعا.

- إلى حد ما.

- لقد كنت ضائعة وأنا أعدت لك الوعي.

- ليس هذا ما قلته! هل تعتقد أنني قبلت أن أتبعك -ببساطة- حتى

تصدق على نفسي؟ إنني لم أصل إلى مرحلة إغماض عيني وارتجف عند أول صوت أسمعه يصدر منك.. هل تعتقد أن فقدي لوظيفتي هو الذي وضعني في هذه الحالة؟ أن أعيد ترتيب حياتي أمر صعب فعلا، ولكن لست في حاجة إلى رجل من أجل ذلك. استطيع التصرف بمفردي.

- هل لديك مشروعات بالفعل؟

- لدي نية أن افتح وكالتي الخاصة.

تصلب وجه "ماتيو" فجأة. وفهمت في الحال أنها خطت خطوة خطأ. مرة أخرى سألها:

- وكالة عارضات أزياء؟!

- فعلا. ولكن هذه المرة سأكون على الجانب الآخر من الحاجز. لقد بعت جمالي لمدة خمس سنوات، وحان الوقت أن أبيع -بعض الوقت- عقلي.

فهمت.

- ما رأيك لو تحدثنا في شيء آخر؟ في كل مرة نطرق فيها موضوعات تخص أسرتي أو عملي نتشاحن.

- إننا لن نتشاحن أبدا وأعدك بذلك. عن أي شيء تريدين أن نتناقش؟

خفضت "نينا" عينيها وأخذت تراقب صورتها المنعكسة على سطح القدح. وعندما رفعت رأسها -أخيرا- ارتسمت ابتسامة واسعة على شفتيها بالتدريج.

- حدثني أيضا عنك. عن حياتك في "هوتون"، وعن بعثاتك في الصيف، وعن الغابات، والبحيرات، والليالي الدافئة في ضوء القمر. خبرني لماذا تحبها كثيرا؟

- إنها قصة طويلة.

-احكها لي..

- إنني لا استطيع أن ارفض لك طلبا فعالي اجلسي على الأريكة بجواري لأن ذلك اكثر راحة.

لم تنتظر "نينا" أن يكرر طلبه وجلست ملتصقة به فوق الأريكة ثم اغمضت عينيها لتتمتع بصوته.

عندما استيقظت صباح اليوم التالي تذكرت -بصورة مبهمة- كلام "ماثيو" قبل أن تنعس.

- اخيرا قررت أن تستيقظي؟

انتزعها صوته من أحلامها. كان واقفا على عتبة الباب يبتسم، سألته وهي تتمطى:

- كم الساعة الآن؟

- الثانية.

- إلى هذا الحد.. لماذا تركتني اتأخر في نومي؟

- هذا أمر طبيعي بعد كل ما واجهته وتحملته. بعد أن نمت ذهبت إلى حجرتك.

- لقد اضعنا صباحا رائعا.. الوقت متأخر ولابد أنك جائع.

- ليس بعد، ولكن سرعان ما ساكون جائعا.

صاحت وهي تنهض من فراشها مرة واحدة:

- سأتكفل بالإفطار.

جلسا أمام المائدة كل منهما في مواجهة الآخر، تناولا الطعام في هدوء وهما يتناقشان وكانهما ليسا على وشك الانفصال. بل إن "ماثيو" كان يعاكسها ويمازحها احيانا. همس قائلا:

- أنت في كامل لياقتك اليوم.

- يبدو أن صحبتك نجحت في ذلك.

بجوارك يا "نينا" كل شيء ينجح.

- رغم "نيويورك".. هل أنت على وشك أن تغير رأيك؟

- لا.. ولكن ربما يحدث ذلك.. ماذا تفعلين في الصباح عادة عندما تستيقظين؟

- عادة امارس المشي المتقافز ثم بعض التمرينات الرياضية قبل أن آخذ دشا ممتازا واتناول إفطاري. هذا الصباح مثلا لو كنت بمفردي فكرت -دون شك- في وضعي الجديد.

- الا توجد وكالات اخرى يمكنك العمل معها؟

- طبعا يوجد ولكن "هاريسون" هي أحسنها، ولست اريد أن افعل أي شيء.

- هذا يعني أن لك مواردك.. اعني المالية؟

- لقد حدث أن ادخرت شيئا كما تعلم.

- وهل لديك ما يكفي؟

- قبل أن اجيب على هذا السؤال خبرني إن كان بإمكاني أن اخوض في هذا الموضوع دون خوف؟

اخذ يفحص وجهها طويلا وهو يفكر. لمعت عيناه بوميض غريب:

-حدثيني عن مشروعك.. إنه يثير اهتمامي حقا.

- حسنا.. حتى اكون صريحة معك فلقد ادخرت ما يكفي من النقود لابدا عملا. والمشكلة هي انني - حتى الآن - لم اقرر بعد أي فرع من الأعمال. لقد فكرت أولا في الموضة طبعا؛ لأنها المجال الذي أعرفه جيدا، ولكن ليس هناك شيء مطمئن ومضمون حاليا.

لم ترغب في أن تفاجئه، تريد "ماثيو" قبل أن يقول:

- هل فكرت في استثمار هذه النقود؟

- ماذا تظن؟ أن أحتفظ بها آمنة تحت البلاطة؟

- انا لا امزح يا "نينا". هل فكرت جديا في استثمار أموالك في مشروع؟ لتمويل أحد مثلا؟

فاجأها سؤاله فقالت:

- لتمويل أحد؟! ولكن لأي غرض؟

- للعثور على الذهب مثلا.

قالت وهي تهز كتفيها بلا اهتمام:

- هيه.. أنت لست جادا. إن عندي مثل جميع الناس بعض الأسهم، ولكن عدا هذا فإن اهتمامي بالذهب يتوقف. ثم إن اختي الصغيرتين هما اللتان تعتنيان بهذه الأسهم واستغلالها. إن هذا ليس جزءاً من عملهما فحسب وإنما أيضا تعشقانه.

- حقا؟

- نعم.. في عائلتنا لا يمزح أحد ابدا في مسألة المال. إذن لو كانت مسألة الذهب هذه هي خبطة..

- إنها خبطة القرن! وحسب ابحاثي هناك ذهب في "اونتاريو" على شرق البحيرة العظمى حيث يوجد أكبر منجم للذهب لم يكتشفه أحد بعد. ولهذا السبب أساسا أريد أن أعرف محتويات ذلك الخطاب؛ لأحدد بالضبط موقع المنجم المشار إليه.

- أنا لا أصدقك.

- إنني مستعد أن اثبته لك في اسرع وقت ممكن، وإن كان ذلك ليس من أصعب الأمور. وفي المقابل فإن جمع الأموال لتمويل المشروع لن يكون سهلا.

إلام يريد الوصول؟ هل يحاول خداعها؟ تجمدت الدماء في عروقها أمام فكرة أن يخدعها.

- إذن يا "ماتيو" فكرت في أنا.. أليس كذلك؟

- يا "نينا" إنه منجم مهم جدا. هل تعرفين ماذا يعني؟

ردت عليه بلهجة متهكمة:

- أعتقد أن عندي فكرة. لو كان هناك منجم بهذه الأهمية لسارع

أحدهم باكتشافه.

- ليس في تلك المنطقة بالذات.

- أنا مستعدة للاستثمار. ولكن ليست لدي أي نية ان القي بأموالي من النافذة.

- فكري من فضلك يا "نينا" أنا لا أعرض عليك شراء تمثال الحرية!

- هذا من حسن حظي؛ لأنني لست متمسكة بشرائه!

تبادلا النظرات في غضب جامح. أحست "نينا" بالخيبة. فلم تعد تعرف كيف تفكر. هل خطرت على باله الفكرة أثناء شراء البقالة معا من أجل إعداد العشاء؟ هل نفذ خطة هجومه بعد أن رأى ديكور وأثاث شقتها الغني الفاخر؟

استأنف "ماتيو" حديثه:

- اسمعي: إنني لم أكن لأعرض عليك هذا الاقتراح لو ساورني أدنى شعور من الشك. سنعد عقدا نذكر فيه حقك في النسبة المئوية من الأرباح. إنه استثمار مضمون جدا تماما مثل البنك.

- نحن لم نعد في فترة الاندفاع إلى الذهب يا "ماتيو" في أيامنا هذه، حيث لا نبعثر أموالنا بهذه السهولة.

- ما الذي تظنينه؟

- ما الذي تأمله إذن؟

قال في هدوء:

- لدي الفضل تفسير.. وهو تفسير جدير بالاحترام في رأيي. إنك تعتقد انك حسنة النية، ولكن ما إن انطق بكلمة "نقود" حتى تنتابك الشكوك في الحال وفجأة اصبح في عينيك أسوأ المحتالين.

- وأنا التي كنت أعتقد أنك رومانسي!

رد عليها في صبر نافد:

- أنا لم اكذب عليك مرة واحدة ولكنك مقتنعة انني احاول خداعك.

ومع ذلك لو علمت كم..

- واللوحة التي رسمتها كانت كاملة حتى الأوز البري.. ولابد أنك اعتبرتني دجاجة تبيض ذهبا!

أخذ يتوسل إليها وهو يمد لها يده.

- أنا أمنعك من أن تلمسني.

نهض في صمت وقد انقبض حلقه وتابعته بعينيها.

- هل تنوي أن ترحل؟

- إنني تأخرت وقد حان الوقت لأبدأ الرحلة.

- يجب أن تعرف أنني آسفة بالنسبة لعرضك ولكن..

- لا تشغلي بالك.. إنها غلطتي ولم يكن من الواجب أبدا أن أحدثك فيه.

- دعني أشرح لك.

أجاب وهو يحمل حقيبته:

- لا جدوى من ذلك. وربما كان عليك أن تفتشيني خوفا من أن أختفي حاملا معي فضياتك.

- "ماتيو"!

- والآن يجب أن أسرع. إذا أتيت إلى المكان فلا تتردي أن تعطيني إشارة: فلا يزال بإمكاني أن أصحبك في جولة..

قاطعته بنفاد صبر قائلة:

- إن الوقت ليس متأخرا جدا ويمكننا أن نناقش مشروعك..

- إن هذا لن يجعلنا نتقدم قيد أنملة.

- ولكن يجب أن نتناقش.

قبل أن يخرج "ماتيو" استدار لآخر مرة نحو "نينا" وابعد خصلة شعر سقطت على جبينها.

- مستحيل يا "نينا".. بدون ثقة ليست أمامنا فرصة.

تبادلا النظرات وقتا طويلا.. ماذا تقول؟ إنه على حق. ماذا تفعل حين تثق؟

- إذن استقر الأمر.. سترحل؟

- أمامي طريق طويل والعودة لن تكون سهلة.

نهض فقط بيده ثم خرج وأغلق الباب خلفه. أسندت "نينا" رأسها على الجدار وأغمضت عينيها وسمعت صوت أقدام "ماتيو" في دهليز العمارة، ثم على أرض الشارع بعيدا عن قلبها وحياتها.

بعد رحيله قررت أن تشغل نفسها حتى تتجنب التفكير فيه. غسلت النوافذ، ثم البياضات، وغيرت عدة مرات طلاء الأظافر وأخذت حماما، وارتدت ملابسها. أين هو الآن؟ هل سيلتقيان يوما ما؟

أحست بالقلق وعدم الاستقرار فقررت هذه المرة أن تقوم بأعمال البيت. بعد أن نظفت الشقة بكل أركانها - من الأرض إلى السقف - ونقلت بعض قطع الأثاث من أماكنها لأماكن أخرى. ثم رتبت - بدقة - كتبها ولمعت الأرضية الباركية بغيظ. كل ذلك بلا جدوى.. إن "ماتيو" لا يغادر ذهنها أبدا. أخذت تصور في ذهنها رحلته إلى "هوتون" عن طريق "كليفلاند" ثم "توليدو" ثم "ديترويت". هل هو الوحيد من عائلة "كارتين"؟ وهل ستنجح في العثور عليه؟

أيا كان ما فعلته في فترة ما بعد الظهر فإن "ماتيو" ظل يطاردها. نامت أخيرا من التعب حول نفسها فارتدت معطفها وقررت الخروج. صاحت "ليبرتي" عندما وجدت "نينا" أمام باب شقتها:

- "نينا"! لا تقولي لي إن الخطاب لايزال معك.

- أي خطاب؟

تنهدت صديقتها ضاحكة:

- إذن احكي لي.. كيف جرت الأمور؟

- قد رحل.

- متى؟

- من بضع ساعات.

- لقد اردت أن اتصل بك، ولكني لم افعل. لم اكن ارغب في إزعاجك كما تفهمين. إنك تبدين في كامل لياقتك.

- إنه يبدو علي ذلك كما تقولين، ولكني لست كذلك.

- هيه.. كفي عن السير واجعليني اتابعك. انا متلهفة على معرفة ماذا فعلتما كل هذا الوقت معا. هيا بنا إلى المطبخ وقصي علي ما حدث. لقد اعددت فطيرة هذا الصباح ولايزال باقيا منها جزء.

- يالمتع الاسرة! انت لن تملي ابدا.

قالت "ليبرتي" مؤكدة:

- بالعكس إنني أسعد بها. ولكن خبريني يا "نينا": هل تحاولين مثلا أن تخفي عني شيئا؟ ما الذي جرى؟ الم يعد يعجبك؟

- بل يعجبني ولكن..

- إذن هل كل شيء على ما يراام؟ هل ستلتقيان؟

- لست ادري.. ربما.

- ربما؟!

- لنقل هذا. هل تعتقدين أنها فكرة حكيمة ان استثمر في الذهب؟

انفجرت "ليبرتي" ضاحكة:

- هل تسخرين مني أم ماذا؟

- إن "مانيو" يعتقد انه عثر على منجم ويريد مني أن أموله.

حاولت "ليبرتي" أن تغيظها:

- اسمعي هل يمكن أن تكفي عن المزاح.

ولكن أمام سحنة "نينا" المقطبة قالت:

- الأمر إذن جاد؟ يا لها من فكرة! لم اكن أعرف أن مهندسي المناجم يؤمنون بهجمة الذهب.

- ولا انا. ولكن ذلك الرجل جاد جدا. كم في رايك يتكلف وضع القدم في استغلال منجم؟

- لا تقولي لي إن لديك النية؟

- ولم لا؟.. إنني ساحصل على نسبة مئوية.

- وإذا لم يعثر على شيء؟ لا تكوني حمقاء. إنك لن تسمحي لنفسك بان تتورطي في مثل هذه المغامرة. يا للعار! مع انه يبدو ممتازا. من كان يتصور انه كان يعد لخدعة كهذه؟ لقد بدا..

- إنه كذلك..

- هيا خذي قليلا من الفطيرة.. إنها ستفيدك.

- لا تحاولي ان تقلقيني! واسمعيني لحظة قبل ان تلقي باقتراحه في سلة المهملات: لندرس اولا كل الاحتمالات الممكنة. ربما في النهاية تكون فكرة جيدة؟

زفرت "ليبرتي" وهي تهز راسها:

- اه من الحب!

- حاليا دعي الحب جانبا من فضلك.

- في حالتك هذه..

لم تعر "نينا" تدخل صديقتها اذنى انتباه، وإنما استمرت في سنطقها:

- اولا: رجل ليس افاقا، باعتباره مهندس مناجم فهو يعرف ما يقوله. ثانيا: لقد مرت سنوات طويلة وهو يعمل في المشروع ولابد انه يستحق كل هذا الجهد. ثالثا: في يوم او آخر سارغب ان ادخل مجال الأعمال. فلماذا لا يكون حالا. رابعا: ساقوم انا بالإدارة وهو بكل الاعمال الفنية. وقد خلقنا لنتفاهم جيدا. خامسا: بفضل هذا المنجم يمكننا -في النهاية- إزالة الحاجز الموجود بيننا. سادسا...

- هذا يكفي.. من الواضح أنك اتخذت قرارك فعلا.

- طبعا لا.. احتاج إلى تفكير.

صباح اليوم التالي كانت الساعة السادسة والنصف وقد استيقظت "نينا" فعلا. كانت متكئة على نفسها في سريرها. ادارت رقم التليفون للمرة الألف وهي تنتظر أن يرد عليها "مانيو". وقلبها يدق بشدة مع رنات الجرس على الطرف الآخر من الخط. سألت بانفاس متلاحقة:

- "لامارتين"؟

- ألو؟ صباح الخير!

- هل وصلت؟

- "نينا" ابن انت؟

- لازلت في السرير.. متى وصلت؟

- في التو واللحظة لقد قطعت مسافة رهيبة.

- هل انت سعيد بعودتك لبيتك؟

- هذا يتوقف على.. ما تقولينه لي.. ربما..

ترددت ولازالت انفاسها لاهثة.

- ماذا تريد مني أن اقول؟ انا اتصل بك لنتناقش في الاعمال.

- انا منصت لك يا "نينا".

- ولنتحدث عنا.

ساد صمت طويل على الطرف الآخر من الخط. قالت:

- لقد فكرت مرة ثانية فيما قلته بالنسبة لعرضك.. اعتقد انني أستطيع مساعدتك.

- ليس هذا ما اسالك عنه.

لازالت هناك تلك الحساسية.. عليه اللعنة!

- إنني اظن اننا يمكن أن نصل إلى اتفاق منظم.

- إذن.. هل قررت القبول؟

- نعم.. بجوارك.

ران الصمت مرة ثانية ترددت لحظة ثم تابعت:

- في الحقيقة ليس لدي كل هذه النقود المطلوبة لاقدمها لك. ولكن بالتأكيد أستطيع أن أساعدك في الحصول على الباقي.

- لا ينقصك تتابع الافكار وترتيبها.

- الا تولينني ثقتك؟

- لقد اشتقت لك كثيرا يا "نينا". في الحقيقة ابطأت في الطريق خوفا من العودة إلى شقتي الخالية.

- هل هي خالية مثل شقتي؟

- شيء غريب.. اليس كذلك؟ كل منا على جانب على بعد مئات الكيلومترات من الآخر.

قالت بسرعة قبل أن يغير رأيه:

- لماذا لا تأتي إلى "شيكاغو" بعد انتهاء محاضراتك؟

- لاقابل هناك عائلتك؟

- يمكنك أن تسميها رحلة عمل.

- وما دخل اعمالنا بعائلتك؟

- هنا يجب أن أتدخل بأذا العقل الصغير وإن كان ممتازا. أن تأتي إلى "شيكاغو" وتعرض الموقف على أسرتي وهي تكمل بقية راس المال.

- وإذا جلب المنجم الكثير من الأرباح؟

- إنهم سيدعون لك ويحلفون باسمك.. هذا أمر مؤكد. ما رأيك؟ نستطيع أن نقوم بعمل استثماري معا.. اليس كذلك؟

اندست "نينا" تحت الفراش وأغمضت عينيها وهي تنتظر الرد.

أعلن "مانيو" بصوت عميق:

- أعتقد انني لا أستطيع أن أرفض هذا العرض.

www.rewity.com
Hindoda

الفصل الثالث

بعد ثلاثة أسابيع كانت "نينا" أمام فندق عائلتها في "شيكاغو". وكان بالقرب منها شقيقها يعاونه رجلان في تفريغ السيارة. بدأت كومة من حقائب السفر ترتفع على الرصيف. صاح "روسيل" وقد التمعت عيناه بالمكر:

- لم يسبق أن شاهدت شهر مايو في مثل هذه البرودة. لو استمر الحال هكذا فإنني سأكون ثروة. لقد راهنت على أن الحرارة الليلة ستهبط إلى ما تحت الصفر.

- وإذا خسرت الرهان؟

- في هذه الحالة فإن منافسي سيحققون الثروة.

ابتسمت "نينا" بينما تجهم شقيقها:

- هكذا كالعادة يوم لك ويوم عليك.

ولكنها لو أرادت أن يبدو "روسيل" محترما في نظر "ماتيو" ويعامله

معاملة لائقة فيجب -باي ثمن- أن تملئ معدته بالطعام وأن يصفو مزاجه. أما من ناحية المزاج الصافي فهذا لم يتحقق لأنه لم ينجح حتى الآن في وضع اسمه على الفندق الشهير، وربما قبل أن يضع اسمه على مشروع "ماتيو" إن اسم منجم "هوليداي" ليس سيئا. قبل أن تستغل "نينا" المصعد مع حقائبها العديدة توقفت عند مكتب الاستقبال وقالت:

- ستكون هناك زيارة لي غدا من السيد "ماتيو لامارتين".

- حسنا يا آنسة "هوليداي" ليس سيئا. قبل أن تستغل "نينا" المصعد مع حقائبها العديدة توقفت عند مكتب الاستقبال وقالت:

- ستكون هناك لي زيارة غدا من السيد "ماتيو لامارتين".

- حسنا يا آنسة "هوليداي".

سعداء برؤياك.

سألها "روسيل":

- هل هو مرشح جديد؟

- لا تفرح بسرعة هل تسمعني؟ وامنعك من أن تفسد عليه إقامته بوضع القلفل في القهوة أو بودرة العفريت في سريره.

- اعدك بألا افعل شيئا. الآن لدي العاب اكثر تقدما وتعقيدا.

- ألن تكبر أبدا؟

- ولم افعل ذلك؟ يجب أن تعلمي انني حققت نجاحا باهرا بذلك عند النساء! إنهن يدرن حولي كالنحل حول خلية العسل.

- دائما نفس الأسطوانة.

- انت لم تعرفي اخرهن! إن اسمها "جلوريا" آه لو رايتها! إنها ستكون هنا غداً في السهرة.

- اية سهرة؟ ليست لدي فكرة.

احست "نينا" بقلبها ينقبض. لقد توقعت عشاء بسيطا بين الأسرة

احتفالا بـ"ماتيو".

- لقد نظمنا هذه السهرة للاحتفال بتوقيع عقد جديد مع مئات الفزلاء. ولكنك ستعشقين "جلوريا". إنها غريبة جدا. فمن يومين جعلتها تنتظرني في المكتب وقتا طويلا. فهل تعرفين ماذا فعلت؟

- افضل الا أعرف.

- لقد سمرت رباط عنقي على المكتب فوق الخشب.

- غريبة جدا!

- ولكن انتظري الباقي. لقد وضعت دبابيس الرسم على شكل قلب. ظريفة اليست كذلك؟

- ظريفة جدا. إن الطيور على اشكالها تقع.

قال "روسيل" وهو ساهم يفكر:

- هذا صحيح!

وجدا في الصالون "شوجار" و"كوكي" جالستين على الاريكة تقران الجرائد. كانت "كوكي" اول من رفعت راسها تاركة -على مضض- جريدة "وول ستريت" المختصة بالمال وقالت باقتضاب:

- لقد اتصل صديقك.

- "ماتيو"؟ متى ذلك؟

جاء الدور هذه المرة على "شوجار" للحديث تاركة مجلتها "نيويورك تايمز":

- لقد اتصل بك مرتين.

استانفت "كوكي" الحديث:

- وياله من صوت من المخمل! لازلت احس بحلاوته.

انتهز "روسيل" الفرصة ليلقي بجسمه على مقعد ذي مساند بالقرب من المدفاة. اخذ قبضة كبيرة من قطع الشوكولاتة قبل أن يلتفت ناحية "نينا" وقال وفمه ممتلئ:

- يجب ان اقول لك: إن هناك حركة في الأسرة.

- مرة ثانية؟

- حسنا. منذ فترة والتوءمتان مهتمتان بالمال والاعمال والإحصاءات حول الزواج. وقد اكتشفنا امورا غريبة حقا.

اعلنت "كوكي" وهي تعتدل في جلستها:

- ثمانون في المائة من بين النساء اللائي يبلغن سن الثلاثين لا يتزوجن ابدا.

زفرت "شوجار":

- وستكمل الثلاثين في ديسمبر.

تابع "روسيل" حديثه:

- ومن وقتها لا تعرفان أين تضعان راسيهما. لقد دعتا لسهرة غدا بطل لعبة الكروكيه.

صححت له "شوجار" كلامه وهي تتلمر بالغيظ:

- إنها لعبة البولو التي يلعبها.

تدخلت "كوكي":

- انا التي دعوته.

تماسكت "نينا" حتى لا تصرخ. لقد فاض بها الكيل من الأختين التوءمتين وممارساتهما.

همهمت في يأس:

- لقد نسيتما المكالمة. هل ترك رسالة؟

في تلك اللحظة دخلت العمة "أويل" الصالون وقد ارتدت ثوبا طويلا من الساتان. وسالت في الحال:

- من هو إذن يا عزيزتي؟

- أحد اصدقائي يا عمتي وسيصل غدا.

هزت العمة "أويل" راسها وهي تصب لنفسها قدحا من الكاكاو.

وقالت:

- ربما تولى اخر غزوات "روسيل"؟

- لا مجال للمناقشة في هذا.

- لا جدوى من الاعتراض يا "روسيل".

- إن "روسيل" يعتقد ان "جلوريا" هائمة في حبه.

- إنها الوحيدة التي تتقبل هذا المزاج.

قطبت "نينا" جبينها وقد اقلقتها تعليقات اختيها. من الواضح ان عليها الا تطمئن لهذه الدعوة "جلوريا"، ويجب -بوجه خاص- الا تترك بمفردها مع "ماتيو"، سألت:

- هل اخبركما "ماتيو" عن ساعة وصوله؟

- لقد سألنا إن كنا على علم بسوق الذهب وأجابته "كوكي" بانه باعتباره صديقا للعائلة فإن من حقه.

صاحت "نينا" نافدة الصبر:

- في اي ساعة؟

- سيكون في المطار في الرابعة والنصف.

أكملت "كوكي" وهي تبتسم:

- وأخبرناه اننا سنكون في استقباله في المطار.

زمجرت "نينا" وهي توشك على الانفجار:

- لا مجال للمناقشة في ذلك. لا تنسيا ان "ماتيو لامارتين" هو ضيفي، ولدي نية ان اذهب إلى المطار بمفردي لاستقباله، وانا مصرة على ان تدعاه في حاله.

تدخلت العمة "اويل":

- انا واثقة من انهما لن تضايقاه. واتعشم ان يشارك صديقك في غرفة

قال "روسيل":

- هذا يعتمد على من يشاركه.

تابعت العمة "اويل" كلامها دون تاثر:

- ليس هناك ما يدعو للضحك يا "روسيل". ما لم تقبل ان تقدم له صديقتك، فيجب ان يشارك الحجرة مع لاعب البولو المذكور.

احتجت الاختان التوءمتان في نفس واحد ولكن العمة "اويل" نولت إسكاتهما:

- انا لا أجد اي حل اخر. هل تفكران ان نضعه في حجرة واحدة مع عمكما؟

مستحيل! ومع ذلك عندما جاء العم "بو" لينضم إليهم - وقد امسك بقدح في يده - وجدت لديها رغبة في اخذ رايه:

- لقد دعوت صديقا لي لقضاء عطلة نهاية الاسبوع يا عمي.

- اتعشم ان يكون ماهرا في البلياردو. إن الصديقين اللذين سبق ان دعوتهما لم يكونا يعرفان شيئا عن تلك اللعبة.

- لست ادري يا عمي. انا لم اساله.

- كان من الواجب عليك ان تساليه. إنه امر مهم.

- ومع ذلك فإن عمتي "اويل" لم تتزوجك بسبب مهارتك في البلياردو.

- لا. لقد تزوجتني لانه لم يكن امامها حرية الاختيار.

- ولكنكما ظللتما معا دائما بعكس والدينا. فإنه لولا انكما استقبلتمونا - بعد طلاقهما-لقضينا كل حياتنا في الفنادق نغير باستمرار مدينة بعد اخرى. في طول البلاد وعرضها.

- لقد مررنا نحن ايضا باوقات صعبة ولكننا نجحنا دائما في التغلب عليها. هل انت متمسكة جدا بهذا الشاب يا صغيرتي؟

- اعتقد انه بلغ بي الحال درجة لا استطيع فيها الاختيار.

- حسنا جدا. واتعشم ايضا ان يكون ممتازا في البلياردو.

بعد ظهر اليوم التالي ذهبت "نينا" بمفردها إلى المطار لاستقبال

"ماتيو" خلال هذا الشهر الذي كانت بعيدة عنه كانت كثيرا ما تحدثه تليفونيا. ولكن لم تتح لهما الفرصة أبدا للقاء. أخذت تراقب باب خروج المسافرين في قلق.

عندما رأت رأسه ذا الشعر الأسود يعلو بقية الرؤوس تعرفت عليه في الحال. أخذ قلبها المجنون يدق بلا انتظام. وعندما التقت عيونهما أخيراً حبست أنفاسها وتجمدت في مكانها. هل تغير؟ ترددت لحظة وهي لا تدري ماذا تفعل، ثم اندفعت نحوه في شوق عارم.

- هل مرت رحلتك بسلام؟

- نعم.

- أنا سعيدة جدا للقائك!

- وأنا كذلك.. ولا أعرف ماذا أقول.

- صه! لا تقل شيئا.. إن لدي مفاجأة لك. هذه أخيرا ترجمة الخطاب. لقد تلقيتها في التو.

ناولته الترجمة. وبينما يفحصها انتهزت الشابة الفرصة لأن تملي عينيها به. قال:

- أعتقد اننا على الطريق الصحيح.

- هل هذا خبر سعيد إذن؟

قال موكداً وقد اتسعت ابتسامته:

- بل ممتاز! والآن يمكنك -في اطمئنان- تقديمي إلى أسرتك وأنا مستعد لمواجهتها.

لم تستطع "نينا" أن تمنع نفسها من التفكير في السهرة.. لاشك انه لم يتوقعها. ماذا سيكون رد فعله؟ ولكنها فضلت تأجيل المشكلة فيما بعد. جانبا هناك ما هو أهم. سألته:

- هل تلعب البلياردو؟

- نعم.. بمهارة شديدة. لماذا؟

- هل أنت متأكد؟

- تماما.

هذه نقطة في صالحه. إن العم "بو" سيسعد ما لم ينهزم في البلياردو طبعا. ولكنها قررت ألا تفكر في هذا الاحتمال.

جلست بجوار "ماتيو" في سيارة "روسيل" المرسيدس، وعادا إلى أملاك الأسرة.

قررت - قبل العودة - أن تقوم بجولة في المدينة معه. كانت "شيكاغو" تلمع تحت سماء صافية ومشمسة، والبحيرة الساكنة الفسيحة تمتد تحت أقدامهما. أخذا يثرثران كثيرا خاصة عن لعبة البيسبول، ثم بدا الصمت يسود بينهما شيئا فشيئا. سألها "ماتيو" فجأة:

- هل تحاولين مثلا أن تكسبي الوقت؟

تصلب جسد "نينا" في الحال.

- لا.. لماذا؟

- لدي شعور أنك تريدين الكلام ولكنك لا تعرفين من أين تبدئين.

- إنني أريد -فقط- أن أكون معك بعض الوقت. هل يضايقك ذلك؟

- لا.. طبعا لا.. ولكن هل أنت واثقة من أنك لاتخفين عني شيئا؟

- إن أسرتي تقيم حفلا على شرف "روسيل".

- هذا رائع!

- واعلم أنها لن تكون حفلة صغيرة كما تتصور.

- هل تقصدين حفلة بالملابس الرسمية؟

- نعم.

- وتخشين ألا أكون على المستوى اللائق؟

- ولكن.. لا على الإطلاق.

- يمكنني أن أتنكر في زي رجل الغابة.

وقفت السيارة أمام مدخل الضيعة. وقبل أن تخرج "نينا" منها التفتت نحوه متضرعة:

- لقد نظمت الحفلة أثناء غيابي، وأؤكدلك انني لم أكن على علم بها أعرف أيضا أنك ستكرههم.. كل هؤلاء الناس من "شيكاغو".

- وماذا تقترحين؟ أن نغير مكان الحفلة حتى لا تقام في "شيكاغو"؟

- إذا كنت قد وصلت إلى درجة الضحك فهذه علامة طيبة.

- أنا موهوب جداً في التمثيل الكوميدي فلا تقلقي. ولكن يجب أن تتجنبي الحديث في أمور تثير الزعل لأنني لا أريد -بصفة عامة- أن أزعج مموليا.

- من هذه الحالة مرحبا بك في "شيكاغو".

تركا السيارة في الممر ليصعدا مباشرة إلى الصالون. لاحظت "نينا" -وهي تشعر بالارتياح- أن الأسرة ليست بكامل هيئتها. كان العم "بو" و"روسيل" يتناقشان بمفردهما في أحد الأركان. وفور وصولهما قامت "نينا" بعملية التعارف. بعدها في الحال سحب العم "بو" "ماتيو" إلى صالة البلياردو.

بعد خروج الرجلين سأل "روسيل" أخته:

- أين إذن أمتعة صديقك؟ أما بالنسبة للحجرات فقد تم ترتيب الأمر. لقد قررت الأختان التوءمتان أن تناما معا تاركتين الحجرة الثانية له.. الحجرة الوردية.

تصورت "نينا" "ماتيو" في الحجرة المنشحة كلها باللون الوردي. يا لها من فكرة! ردت على أخيها:

- ليس معه سوى حقيبة يحملها على كتفه.

- إنه ليس نمطك المفضل من الرجال.. أين عثرت عليه إذن؟

- هذا ليس شأنك. ومن الأفضل أن تخبرني: هل لديك حلة سهرة سموكنج لتعيرها له؟

- حتى يدير عقل "جلوريا"؟ لا مجال للنقاش في هذا. إنها تفضل الرجال السمر!

- اسمع يا "روسيل". إنني متمسكة جدا بألا يغازل "جلوريا". وأعدك أن أراقبهما.

- لا تتركيه لحظة واحدة.. هل تسمعين؟

- وأنت عندما تقرضه الحلة السموكنج تأكد ألا يكون بها مفاجأة من مفاجآتك السخيفة.

قبل أن تذهب "نينا" للاستعداد مرت على حجرة "ماتيو". كان واقفا أمام المرآة منهمكا في تركيب أزرار قميصه. قال:

- لدي إحساس أن هذه الأزرار لم تعد تستعمل.

- هل تريد أن أمد لك يد المساعدة؟

- بكل سرور. ولكن كان على أخيك أن يترك لي طريقة الاستعمال قبل أن يختفي.

قالت "نينا" وهي تنفجر ضاحكة:

- لم يسبق لي أن رأيتك في هذه الحالة. هل تعرف أنك ظريف وأنت غاضب؟

- هل يمكن أن تكفي عن إغاظتي من فضلك؟

تولت "نينا" عملية تركيب الأزرار المعدنية.. كان بقية طاقم الملابس رائعا وعلى مقاسه بأعجوبة.

- أنت أنيق للغاية!

- هل أعجبك هكذا؟

- أنت تعجبني.. هذا كل ما هناك.

- كم أحب أن أصدقك!

التقت عيونهما ولم يستطع أي منهما أن ينزعها عن وجه الآخر. صارعت "نينا" وقلبها يدق بعنف.

- هل الأزرار ضيقة لهذا الحد؟

- أوه يا "نينا" لو علمت كم مرة أعدت التفكير في الحديث الذي دار بيننا صباح يوم رحيلي.

- وأنا كذلك يا "ماتيو" لم أكف عن التفكير فيه.

- أكثر من مرة أوشكت أن أقفز في أول طائرة لأحضر إلى "نيويورك".

- ولماذا لم تفعل؟

- لأنني على ما أنا عليه ولا يمكن أن أتغير. لقد عانيت كثيرا في تغيير نمط ملابسي فكيف يمكنني...

- ولكني لا أريد منك أن تتغير يا "ماتيو". أريد أن نكون معا.. قريبة منك جدا.

- متى تظنين أننا نستطيع الهروب منهم قليلا؟

- غدا.. أتمنى ذلك.

- ربما يحدث ألا أجعلك ترحلين.

- وربما لن أرغب في أن أتركك أبدا.

في هذه اللحظة بالذات انفتح الباب فجأة ودخل "روسيل" دون سابق إنذار وقال:

- هل كل شيء على ما يرام يا "لامارتين"؟ أوه يبدو أن وجودي يزعجكما؟

ابتعدت "نينا" عن "ماتيو".

- ولكن ادخل يا "روسيل". إنني أحاول -دون جدوى- أن أعقد رباط "البابيون" هذا. هل يمكن مساعدتي؟

قال "روسيل" وهو يغمز بعينيه لـ"ماتيو":

- يبدو أنك فقدت مهارتك ويجب عليك أن تتمرني. إنها كانت ماهرة في خلع أزرار القمصان والأحزمة. وكان عليك أن تراها في ذلك يا "ماتيو".

- "روسيل"!

- إنني امزح.. هيه.

بدا الضيق على "روسيل".. قال له "ماتيو" بحزم:

- هل يمكن أن تساعدني؟

- لا تتحرك وساقوم بذلك.

قالت "نينا" وهي تتجه إلى الباب:

- حسنا.. لقد حان وقت ذهابي لأستعد بدوري. إلى اللقاء حالاً.

سألها "ماتيو":

- هل أنت مستعدة لمواجهة العدو؟

- سنرى أن كل شيء سيسير على ما يرام. لقد وعدني "روسيل" بذلك بعد.

ألقى نظرة على "ماتيو" استدار نحو أخته وهمهم من بين أسنانه:

- أرجو ألا تنسي ما وعدتني به!

منذ بداية السهرة و"نينا" حريصة على إبقاء "ماتيو" بجوارها. ولكن الأمر لم يكن سهلا: إنه في زيه هذا لا يمكن ألا يكون محط الأنظار. كان الرجال يلتفتون عند مروره، والنساء لم يرفعن أعينهن عنه. انتزعها صوت العمة "أويل" من شرودها:

- من هو إذن هذا الشاب الجذاب يا عزيزتي؟

- إنه "ماتيو لامارتين" يا عمتي.

- إن اسمه يوحي إلي بشيء ما...

- إنه من "هوتون" ولا أعتقد أنك تعرفينه.

- لا.. ولكن عمك حدثني عنه. إنه ممتاز جدا في البلياردو على ما يبدو. أتعشم -على أية حال- أن يدير رأس "جلوريا".

- عمتي!

- لا تقلقي يا عزيزتي. إن صديقك يبدو عليه أنه قادر على العناية بنفسه وهو ما لا ينطبق على أخيك المسكين.

بعد ذلك اتجهت "أويل" نحو "ماتيو". استعدت "نينا" لأن تتبعها عندما قررت إحدى صديقات العائلة من العجائز لتعطيلها. كانت - وهي تجيب على أسئلة محدثتها- لا ترفع عينيها عن "ماتيو" لحظة واحدة. كان بعيدا عنها يتناقش في هدوء مع عمتها. ماذا يقولان؟ كان حولهما الخدم والسقاة يدورون بصوان عليها أكواب المشروبات المنعشة. وفي أحد الأركان كان الموسيقيون يعزفون دون انقطاع وبحماس.

بعد أن أرضت "نينا" فضول السيدة العجوز شقت طريقها وسط الجمهور لتلحق بـ"ماتيو". كان هذه المرة في صحبة "كوكي" التي تعلقت عيناها بشفتيه وأخذت تتبعه إلى كل مكان. تمنت "نينا" أن ينتهز الشاب الفرصة ليسأل أختها عن أسعار الذهب. ولكن بعد أن رأت الابتسامة المشرقة على وجه أختها تأكدت من أنها تحدثه عن أشياء أخرى غير الذهب. جاء "روسيل" نحوها حاملا بين يديه طبقين من سلطة الكابوريا. سأل أخته:

- هل رأيتها أخيرا؟

- من هي؟

- "جلوريا" طبعا.

- لا.. وأتمنى أن تراقبها.

- وكيف لي أن أفعل ذلك؟ إن العمة "أويل" لا تكف عن قطع أنفاسي بطلباتها. والآن تطلب سلطة الكابوريا.

- ما رأيك في أن تضيف إليها صلصة الشطة؟

ابتهج "روسيل" ولمعت عيناه مكرا.

- فكرة ممتازة! إن صديقك إنسان أنيق جدا. ولقد أخبرته عن

موضوع "جلوريا" مرتين فطمأنتني.

- احذر بالذات من العمة "أويل"!

- انظري هاهي قد أتت.

استدارت "نينا" نحو "ماتيو". كانت "جلوريا" تحاول بإصرار الانضمام إلى المجموعة الصغيرة. كان محاطا بالمراتين ولا يعرف لمن منهما يدير رأسه. هذه المرة زاد الأمر عن حده! قررت الطيران لإنقاذه. أمرت أخاها:

- أعطني طبقا من الطبقين واتبعني.

كانت "كوكي" تقول له:

- إن "مونتبري" جميلة جدا في الربيع ويجب أن تحضر إليها.

ابتسمت له "جلوريا" وهي تطرف برموشها في دلال:

- ولكن لو بقيت في البلدة بعض الوقت لأتيحت لنا الفرصة -دون شك- أن نلتقي في النادي. عادة ما أستطي الجواد في الصباح بين الثامنة إلى العاشرة صباحا.

تدخل "روسيل":

- سأخبره بأشياء كثيرة.

صاحت "جلوريا" وهي تدعي الدهشة:

- أوه.. "روسيل"! هل أنت مشغول دائما بأعمالك! ولما لم تكن تصحبني على الإطلاق فقد قررت أن أستبدلك.

قال "ماتيو" وهو يهز رأسه:

- أنا آسف ولكني لا أستطي الجياد. في المكان الذي نشأت فيه نمارس ركوب قوارب الصيد ونلعب كثيرا "بيسبول".

وافقته "نينا":

- إنها رياضة مهمة ومثيرة!

قالت "كوكي" بسرعة:

- ولكن يمكننا ايضا صيد السمك في "مونتيري" ويمكننا استئجار يخت في نزهة في البحر.

قاطعتها "نينا" وهي تدس طبق سرطان البحر في يد "جلوريا":

- كفى حديثا يا "كوكي" وهذا الطبق اعده "روسيل" من اجلك يا "جلوريا" خصيصا.

ثم امسكت بيد "ماتيو" وسحبته بعيدا عن المجموعة.

- هل تتحمل الصدمة؟

- حتى الآن نعم.. يا لها من سهرة! هل الامر هكذا في كل السهرات؟

- نعم إلى حدما.. ما رأيك فيها؟

- لنقل إنني لم اتعود عليها.

- هذا اقل ما يقال عنها.

- إنني اعتبرهم كلهم شديدي الغرابة وفارغين.

- اهل "شيكاغو" كما تراهم. اليس كذلك؟

- ولكن يجب الا انسى انهم المحسنون المتوقعون لي.

- ولا تنس انهم -رغم المظاهر- عنيدون جدا. مثلا: في عائلتي لا يوجد شيء اسمه لوجه الله فقط.

قال وهو شارد يفكر:

- سأتذكر ذلك.

كان الوميض في عينيه قد اقلق "نينا" ولكنها لم تقل شيئا عنه. قالت:

- هيا بنا لنخرج بضع لحظات. إن لدينا اشياء كثيرة نقولها لبعضنا بعضا.

ذهبا إلى الشرفة وحرصا على إغلاق الباب خلفهما: فاختفت أصوات الضحكات والصياح في الحال وسط سكون الليل.

كانت البحيرة عند اقدامهما تنام في سكون ثقيل، وقد اضاءت انوار

المدينة ضفافها. اخذ النسيم الخفيف يداعب المنظر الطبيعي في رقة.

تاملت "نينا" طويلا وجه "ماتيو" في الظلام.

- نحن احسن هنا.. اليس كذلك؟

- نعم.. خسارة اننا لن نستطيع ان نظل هنا!

- لماذا؟ انا لم ار طوال السهرة ومن الطبيعي ان تقضي معي ايضا بعض الوقت.

- انا لا اتمنى احسن من ذلك يا "نينا".

قالت له تطمئنه:

- هل ترى؟ إن كل شيء يمر على احسن ما نتمنى.

- طبعا. فقط لو اعتمدنا على انفسنا.

- مهما حدث يا "ماتيو".

- وكيف لك ان تكوني واثقة من ذلك؟

- من فضلك لا تقل شيئا.. نحن في سعادة هنا بمفردنا في الليل تحت السماء المرصعة بالنجوم.

- نعم نحن في سعادة.. ولكن يجب اولا ان اهتم باعمالنا واعتني بها.

- فيما بعد.. ليس هناك ما يدعو للعجلة.

- اه لو عرفت ما الذي ينتظرني! إن إحدى شقيقاتك مصرة على الحديث معي باي ثمن. وعمك وزوجة عمك لديهما -على ما يبدو- نية تكليفي بمهمة. ويجب عليك ان تسعدي لانني حققت هذا القدر من النجاح.

- حسنا.. انا بالضبط غير سعيدة. إن كل النساء عند قدميك وانى على استعداد لتمويل اي شيء لمجرد إسعادك. هذا فضلا عن "كوكي" التي لم نتركك دقيقة. ولا "جلوريا" التي لم تكف عن ان تتبعك في كل مكان. هذا كثير.. كثير حقا.

- اخبريهن انني لست حرا.

- انت غير حر؟

- "نينا"..

ظل اسمها على شفتيه يردده في همس اوشك ان يفقدها وعيها

انفتح باب خلفهما مما جعل حزمة من الضوء تندفع إلى الشرفة.

رفع "ماتيو" رأسه بعنف وابتعد عن "نينا". صاح العم "بو" وهو على عتبة الشرفة:

- هانت ذا أخيرا! لقد مرت عشرون دقيقة كاملة وانا ابحث عنك في كل مكان. وتساءلت اين يمكن ان تكون.

تلعثمت "نينا" وهي تقول:

- إننا نستنشق الهواء النقي يا عمي.

ابتسم الرجل العجوز وقال:

- إنها طريقة غريبة لاستنشاق الهواء. هذه المرة اريد ان اهنئك يا "نينا"! لقد وجدت اخيرا لاعباً على مستواي. إنه ممتاز في الدفاع.

- أعرف.

قال وهو يوجه الحديث إلى "ماتيو":

- لعبة ممتازة لعبتها يا فتى!

رد عليه "ماتيو":

- اشكرك عليها.

- أراهنك هذه المرة بالضعف انك لن تهزمني.

نظرت "نينا" إلى عمها وقد فغرت فمها دهشة. لقد انهزم ومع ذلك في كامل مزاجه. هذا مستحيل!

قال العم مستأنفا حديثه:

- حسنا.. لننتقل إلى أمور أكثر جدية وسيكون امامكما الوقت الطويل فيما بعد لاستئناف جلستكما الشاعرية. ما رايك في عرضي؟

الضعف لو خسرت!

- ولكنك نسيت ان عندنا سهرة يا عمي!

- وماذا في ذلك.. كل له ما يشغله.

قال "ماتيو" دون تردد:

- اما عني انا شخصيا فانا منسحب من اللعبة.

- يزعجني ان أستولي على نقودك.

- ربما لن يكون هذا ضروريا.

فضلت "نينا" ان تتركهما بمفردهما. عرفت في وقت متأخر بالنتيجة عن طريق اختيها التوءمتين عندما صاحت "كوكي" في انفعال وهي تصفق بيديها:

- إنني لم أستطع ان أصدق ما حدث. كيف استطاع ان يهزم العم "بو"؟

ردت عليها "شوجار" بلهجة جادة:

- لقد تابعت المباراة من بدايتها إلى نهايتها.

بحثت "نينا" عن "ماتيو" في كل مكان دون جدوى وقررت - في النهاية- أن تعود لحجرتها.

خلعت ملابس السهرة عندما سمعت صوت اقدام في الدهليز. ثم طرقا رقيقا على الباب. ارتدت روب النوم بسرعة لتفتح الباب ولكن المقبض ظل في يدها دون ان يتحرك.. إنها إحدى الاعيب "روسيل"، أو ربما لم ترغب العمة "أويل" ان تدعها تخرج. همهمت من خلال ضلفة الباب:

- هل هذا انت يا "ماتيو"؟

- افتحي الباب يا "نينا" لابد ان اتحدث معك.

- اسمعني.. ليس لانني لا اريد ان افتح لك الباب!

لابد ان "روسيل" اغلق الكالون ولا استطيع ان افتح الباب. ولذلك

انصحك أن تراجع حجزتك. ربما قام بإحدى الاعيبه القذرة معك.

اختفت ابتسامة "نينا" فور تمكنها من الخروج وسألته في قلق:

- ماذا هناك يا "ماتيو"؟

- كم الوقت الذي تحتاجينه لارتداء ملابسك؟

- بضع دقائق. لماذا؟!

ابرز أمام عينيها ورقتين من فئة خمسين دولاراً.

- أمامنا اربعون دقيقة لتستقل الطائرة إلى "هوتون". بهذه النقود التي ربحتها من المراهنة مع عمك اصبح لدي ما يمكنني من شراء تذكرتك.

www.rewity.com
Hindoda

الفصل الرابع

قال لها "ماتيو" وهو يضحك في عصبية:

- يجب أن نرحل يا "نينا" قبل فوات الأوان. إن كل اسرتك تلاحقني: إن شقيقتيك لا تكفان عن مراقبتي. وعمتك تعتبرني صياد الدوطة "المهر". وعمك مقتنع ان غشاشاً فقط هو الذي يستطيع أن يهزمه في البلياردو مرتين.

- ولكن هذا غير صحيح. سأخبرهم بذلك غداً.

- ربما انه غير صحيح. ولكنهم ليسوا -في الحقيقة- مخطئين. انا لست واحدا منهم يا "نينا" ولن استطيع أن أكون في يوم من الأيام. في ذلك اليوم الذي اتصلت بي تليفونيا قبلت الحضور إلى "شيكاغو" لأقابل اسرتك لأنني كنت مستعدا لبيع فكرتي لهم أو لمولين آخرين فلا فرق هناك بالنسبة لي. أما الذي لم أحسب حسابه فهو أن يكون البيع سهلا لهذه الدرجة.

- لست أفهم.

- إن بي الكثير من العيوب يا "نينا". لقد كنت فقيرا، غير متسامح، وعدوانيا أحيانا ولكني لم أكن أبدا نصابا.

- ولكنك لست كذلك. ولا تخدعك مناورات عمتي. وانت لم تسمح لعمي أن يهزمك حتى تنال رضاه. أما بالنسبة للسهرة - على أية حال - فقد كان من الواجب ألا نقام أصلا.

- ولكنها أقيمت. ولن تكون الأخيرة. وكان علي أن أتوجس بأن عائلتك ستتصرف هكذا. أما بالنسبة لهم فلست سوى دخيل.

خفضت "نينا" عينيها في ارتباك وحيرة.

- اعذرني.. لم أكن أريد أن أجعلك تعاني.

زجرها وهو يمسك بذراعها بعنف.

- لا.. لا تقولي هذا. إنها مشاكلي وليست مشاكلك.

- لماذا لا تبقى إذن؟

- لأن الأمر ليس سهلا لهذه الدرجة يا "نينا". إن العواطف وحدها لا تكفي لجلب السعادة دائما. ولو كان الحال هكذا لما ترددت لحظة ولصحبتك معي وعشنا سعيدين طوال حياتنا. ولكننا لسنا في حلم!

- إنني أستمع لك يا "ماتيو" وأحاول أن أفهمك ولكن لا تنس أن في زمننا الأمور تتغير وتتحرك وكذلك الناس. كل شيء ممكن.

- ربما ولكننا لم نتعارف إلا من وقت قريب.

انفجرت.

- إذن لماذا قبلت اقتراحي؟ أنت ترى أنه كلما طالت المدة التي نقضيها معا زاد ارتباطنا ببعضنا بعضا. لماذا أعطيتني كل هذا الأمل؟

زفرت وهي توشك أن تنهار. قال لها برقة:

- من فضلك يا "نينا". لقد كان من الضروري أن أحضر وأراك مرة

ثانية.

- لماذا؟ لترحل في النهاية؟

- إنني لا أستطيع أن أبقى بعيدا عنك. هناك قوة بداخلي تدفعني نحوك ولا علاج لها. لا أستطيع أن أعيش بدون ابتسامتك، وألا يكون وجهك دائما أمامي وصوتك في أذني.

- إذن هل تريد مني أن أتبعك؟

- لا أريد أن تتعذبي.

- اسمعني يا "ماتيو". رغم كل ما يفرقنا نحن نريد نفس الشيء: أن نكون معا دون أي ندم. ولكن الوسيلة الوحيدة لتحقيق هذا الهدف هي أن يظل كل منا مخلصا للآخر دائما. ويجب غدا أن تحدث أسرتي بالضبط كما خططنا بلا ادعاءات أو مناورات. وإذا أعجبهم حديثك فإنهم سيتقبلون ذلك سواء كنت أبيض أو أسود أو هنديا يحمل زيا مرصعا بالمطاوي والسكاكين. سواء كنت ترتدي آخر صيحة أزياء في "باريس" أو مجرد بنطلون جينز قديم.

- هذا ما أتمناه.

- إذن ستبقى حتى الغد؟ وإذا لم تكن ستفعل ذلك من أجلك أو أجلي فعلى الأقل من أجل المنجم طبعا لو كان له وجود.

- ماذا تقصدين؟ طبعا هو موجود.

أجابته "نينا" وهي تبتسم:

- مجرد مراجعة بسيطة. ولو حدث غير ذلك لما كفت أسرتي عن لومي وتوبيخي.

- لا تقلقي من هذه الناحية. ولكن هل يمكن أن تلومني أسرتك على أنني أحببت ابنتهم؟ ولو وجدتنا عمتك معا في الثالثة صباحا في حجرتك فلن تكون أمامي أي فرصة للنجاح!

وهذا ما حدث بالضبط. كان "ماتيو" قد ترك مقبض باب "نينا" بعد أن

اغلقه عليها عندما مرت العمة "اويل" في الدهليز. قالت وقد قطبت جبينها:

- اتعشم أن تكون "نينا" اخبرتك أن الإفطار سيكون في الساعة التاسعة.

بذل "ماتيو" كل ما في وسعه ليبدو طبيعيا. قالت "نينا":

- لقد ساعدني في إصلاح الكالون.

- دائما مستعد هذا الشاب مثل عضو الكشافة.

قال "ماتيو" قبل أن يتجه إلى غرفته:

- هذا أمر ضروري في الشمال. تصبحين على خير يا سيدتي.

تابعته العمة "اويل" بعينيها إلى أن اغلق باب حجرته عليه ثم استدارت لابنة اخيها:

- إنني توقعت كل شيء من "ماتيو".. إنه ساذج بعض الشيء ولا يتوجس شرا ممن يحيطون به، ولكن لم اظن ابدا انك انت التي ستسببين لي القلق.

- أنا؟!

- لقد كنت متلهفة على معرفة السبب الحقيقي لزيارته. واعتقد اننا سنعرف المزيد غدا.

ترددت "نينا" قليلا ثم قالت:

- إن لدينا نية أن نتشارك يا عمتي.

- تتشاركين يا عزيزتي؟ من اجل فعل ماذا؟!

- لاستخراج الذهب.

صاحت العمة ووميض غريب يضيء في عينيها:

- الذهب؟! لقد اكتشفت انني لم اكن مخطئة.

بعد هذا الحديث مع عمتها "اويل" وجدت "نينا" صعوبة في أن تنعس. هبطت صباح اليوم التالي إلى قاعة الطعام مبكرة عن المعتاد

كانت الخادمة "اني" تعمل بهمة حول "ماتيو" الوحيد على المائدة. جلست "نينا" في مواجهته. قال في لهجة مرحة:

- لقد اخبرتني "اني" أن لاعب البولو رحل اليوم مبكرا.

- يا له من رجل حريص وذكي.

قال "ماتيو" وهو يرفع كوب عصير البرتقال إلى فمه:

- أو ربما رجل جبان. لحسن الحظ انها لم تكن حالتنا نحن الاثنان.

في هذه اللحظة دخلت الأختان التوءمتان إلى القاعة يتبعهما شقيقهما. سارعتا نحو "ماتيو" لتحييانه بصيحات مرحة. اخذ "روسيل" مكانه امام المائدة. اعلن وهو يفرك كفيه في سعادة:

- خبر سارا لقد نجحت اخيرا.

تدخلت "كوكي" قائلة:

- لا تسالوه عن اي شيء.

شرح "روسيل" وهو لا يبالي باختيه:

- لقد وضعت الفحم في مجفف شعر "جلوريا". إنني مستعد لدفع ثروة لأرى شعرها بعد أن تستعمله.

جاء العم "بو" لينضم إليهم وهز رأسه وهو يسمع مغامرة ابن اخيه الجديدة.

- أخشى يا بني انك تماديت هذه المرة اكثر من اللازم.

- ولكن لماذا؟! الا تجد ذلك مثيرا؟

قالت "كوكي" وهي ترفع عينيها إلى السماء:

- اخشى الا تشاركك "جلوريا" الراي. إنني اتساءل إن كنت في يوم ما ستفهم أن النساء لا يستسغن هذا النوع من المزاح.

استمرت الأختان تتشاحنان مع "روسيل".

وكان العم "بو" في ركنه يحاول ابتلاع ندف الشوفان بصعوبة. وبعد أن نظر إلى ساعة يده تنحنح ليسلك حلقه قبل أن يميل نحو "ماتيو"

- في كل مرة لا أكون فيها في لياقتي الصحية تعطني نفس الوصفة التي كانت تعدها أمي عندما كنت صبيا صغيرا. لقد قضيت كل طفولتي في "هيبنج" بولاية "مينيسوتا" حيث كانت فصول الشتاء قاسية، ويجب دائما ملء البطن بالطعام. إنها - مع ذلك - منطقة جميلة مليئة بالمعادن.

- هذا كلام مضبوط.

سعدت "نينا" لأن عمها نجح في التقديم لموضوع الحديث بهذه الطريقة الممتازة. ولكن عندما حضرت زوجة عمها للانضمام إليهم -في الساعة التاسعة- فهمت وقتها إلام كان عمها يهدف: أن يعرف معلومات عن "ماتيو". قالت العمة برقة:

- هل نمتم جيدا جميعا؟

استقرت عيناها طويلا على "ماتيو" قبل أن تلتفت نحو الجميع. ما الذي تلمح إليه؟ قررت "نينا" التدخل وهي تأمل ألا ترتكب غلطة.

قالت بسرعة:

- إنها منطقة رائعة، "مينيسوتا". يجب أن تناقش ذلك مع "ماتيو" يا عمي.

- هل تعرف تلك المنطقة يا بني؟

أجاب "ماتيو" و"نينا" تشعر بالارتياح الشديد:

- أعرفها جيدا. وباعتباري مهندس مناجم فقد ذهبت إلى هناك عدة مرات من أجل العمل. مثلا "ميزابي رينج" مكان يحلم أغلبنا أن يزوره. وهو المكان الذي به منجم يعتبر من أغنى المناجم في المعادن وتكلفة استخراجها ليست مكلفة.

قال العم "بو" مؤكدا وهو يرفع رأسه باهتمام:

- إنني لا أعرف شيئا في الأمور الفنية. بالنسبة لي فإن المنجم لم يثر اهتمامي على الإطلاق؛ ولهذا قررت أن أعمل في البحر. وفي إحدى

رحلاتي أتيحت لي فرصة أن أشاهد الصينيات وهن يستخرجن العقيق. طبعا معظم الوقت كانت الصينيات يتجولن شبه عاريات مثل الديدان.

صاح "روسيل":

- لقد فهمت الآن لماذا كنت تشاهدهن.

قالت العمة "أويل":

- يا "روسيل" يا بني.. إن عمك يحاول أن يعطي مثلا ليوضح لنا كيف كان هؤلاء الفقراء يأملون في صنع الثروة. ولكن طبعا بالنسبة للرجال -ممن هم على شاكلتك- فإن أي وسيلة مقبولة عندك. أما أنا فقد أحصل على الكثير من المال من البترول.

وعندما كنت فتاة صغيرة كان يصحبني معه دائما لأزور الآبار حتى أستطيع -مثله- أن أراها وأحس بها وألمسها. ربما بالنسبة لك الاستثمار في منتجات حقيقية أصبح أمرا عفى عليه الزمن.

تدخلت "نينا" منتهزة الفرصة:

- إن استخراج الذهب هو أكثر الأشياء حقيقة ملموسة ومضمونة العائد.

- هذا صحيح. لقد تحدثنا عن الذهب مساء أمس، وأعترف أنه في كل مرة أفكر فيها في الذهب يكون لدي -باستمرار- صورة في ذهني عن رجل قذر الملابس مهوش الشعر يسير فوق ظهر حمار وسط الحرارة والغبار.

قال "ماتيو" مصححا:

- هذا هو ما عفى عليه الزمن فعلا. في أيامنا هذه فإن الاستكشاف يتم غالبا بالكمبيوتر. وقد حدث لي أن عملت على الطبيعة، وهناك نوع بسيط يكفيني.

قالت "نينا":

- هذه نقطة اخرى في صالحنا.

قال العم "بو" في إلحاح:

- وهل حددت موقعا؟

إنها اللحظة الحاسمة.

استدار "ماتيو" نحو "نينا" والتقت عيونهما فترة طويلة. ابتسمت له مشجعة.

- في الحقيقة لدي موقع.. وقد مرت سنوات طويلة وانا اقوم بدراسة وابحاث حوله، ولم يبق امامي إلا مراجعة النقاط النهائية. وبتمويل كاف استطيع ان اقدم هنا واحدا من اهم الامتيازات التي يمكن ان تستغل بافضل طريقة، باقل تكاليف.

سال "روسيل" باهتمام:

- وأين هو؟

- على الضفة الشرقية من البحيرة العظمى.

- وعندك حقوق الاستغلال؟

- جزء من الموقع في الأرض الهندية، ولكن الباقي في الحقيقة كاف.

- وما هي النسبة تقدير التطوير للإنتاج؟

- في "اونتاريو" عادة ما تكون ٥٪ ولكن هنا فإننا نتعامل مع وضع خاص، على عكس معظم الحالات فإن الذهب موجود هنا على شكل عرق وحيد وعريض. وكما قلت لكم منذ قليل إنه استثمار سهل في المناجم ومربح جدا.

قال "روسيل":

- إن الأمر يبدو بالنسبة لي مثيراً للاهتمام

قالت "نينا" وهي ترى وجه اخيها يشرق:

- مهم جدا يا "روسيل" ولكنه مخاطرة لابد من ركوبها. إما ان نربح كل شيء او نخسر الكل.

همهم "روسيل" وهو شارد يفكر:

- فعلا إنها مخاطرة لعينة.

تدخل العم "بو" وهو يميل للامام في اهتمام:

- ولكن هل هناك فرصة كبرى للنجاح؟

قال "ماتيو" وهو يضحك:

- نعم وانا لا أراهن ابدا لأخسر، واعتقد انك تعرف هذا يا سيد "بو".

- بالامس لم يكن ذهني مركزا في اللعب، وهذا لن يحدث مرة ثانية إذا كان هذا ما تظنه.

- انا مستعد لتكرار الرهان عندما تستعد.

امام تلك الكلمات تجهم وجه العم "بو" ثم تمالك نفسه.

- اترين يا "اويل" لقد اخبرتك ان هذا الفتى لا ينقصه الذكاء.

القت العمة "اويل" نظرة فيما حولها ثم قالت:

- لقد ظل الذهب دائما ذا تاثير خاص على الناس لدرجة ان بعض بريقه يفقدهم صوابهم. او يجعلهم يعتقدون انهم يمكنهم جذب الاخرين إلى جنونهم.

نظرت إلى "ماتيو" نظرة ذات مغزى، ولكن الاخير لم يتاثر وقال:

- هذه ليست حالتي لانه هنا الامر يتعلق بما هو اكثر من مجرد شذرات من البريق. في عام ١٦٦٥ ارسل الجزويت الذهب المستخرج من نفس المنجم إلى فرنسا. ثم بعدهم جرت محاولات اخرى ولكنها كلها باءت بالفشل.

- لماذا؟ ما الذي حدث؟

- لم يحدث شيء محدد. لقد استانف بعض الباحثين بحثهم عن الذهب. وبعضهم أراد التمادي بعض الشيء، ولكن سوق الذهب انخفض جدا فاضطروا لان يتوقفوا.

تدخلت "كوكي" في الحديث:

- في العام القادم حسب توقعاتنا.

اكملت "شوجار" حديث اختها التوءم.

- إن سوق الذهب سيحطم الارقام المسجلة.. اوه يا "مانيو" سيكون هذا رائعا! اعلم اننا خلقنا انا وانت لنتفاهم.

حدجت "كوكي" اختها بنظرة نارية وقالت

- أستطيع ان أساعدك في إعداد إحصاءات متوقعة في المستقبل عن عدد المولدين. كم عدد ما لديك الآن منهم؟

ردت "نينا" بهدوء:

- ممول واحد.. هو انا.

ران الصمت فجاة حول المائدة والتفتت كل الانظار في الحال نحو "نينا". رفعت راسها عاليا ونظرت إلى "مانيو" الذي اخذ يفحص الوجوه واحدا بعد الاخر. اخذت تحاول تلخيص الموقف. "روسيل" من المحتمل ان يكون في صفهما بعد ان جذبه إغراء المال والمخاطرة في ان واحد. والعم "بو" والاختان التوءمتان كانوا يغيرون رايهم كما يغيرون ملابسهم ولا تستطيع الاعتماد عليهم. العمة "اويل" كانت مترددة ومتشككة. اعلن "مانيو" امام ترددهم:

- إنني لا اطلب منكم ان تصدقوا كلامي. إن معي المستند في يدي وساريه لكم.

نهض وخرج من الحجرة ليحضر المستند من حجرته. لم تغادر عيناها "مانيو" وقلبها يدق بعنف. بالشجاعته.. إنه مصمم على الذهاب حتى النهاية. هل يفعل ذلك من أجلها؟ من أجلهما؟

انتزعها صوت "روسيل" من افكارها.

- إن هذا الشاب لا تنقصه الشجاعة. ولكن مشروعا بهذه الضخامة لابد انه ينطوي على مخاطرة كبرى.

همهم العم "بو" وهو يهز راسه.

- إنه على حق يا "نينا".

ابتسمت له كيفما اتفق وردت بتهكم:

- لا يمكن ان انخدع مع بطل في البلياردو.

قالت العمة "اويل" بلهجة قاسية:

- لا اشك في انك مشتركة ومتورطة معه إلى هذه الدرجة يا عزيزتي. من المؤكد ان استثمار مدخراتك هو السبب الرئيسي لمغامرتك.

- لا في الحقيقة! وهذا هو سبب زيارتي.. إنه في حاجة إلى مساعدتكم.

صاح "روسيل" وهو يلوح بذراعيه:

- لقد عثرت عليه.. سنسميه "مناجم هوليداي"!

اعترضت "نينا":

- لا اعتقد ان هذه فكرة حسنة.

ولكن "روسيل" استمر في حديثه دون ان يابه لاعتراض اخته. اخذ قلما في يده واخذ يجري حساباته.

- كيف نستثمر وكم نستثمر؟ كيف نستمر في المشاركة وكيف نراقبها؟ ما رايك يا عمي؟ ربما نستطيع ان نقوم باعمال في هذا المشروع.

- لو كان ماهرا في الاعمال كما هو في البلياردو فانا شريك.

صاحت "شوجار" وهي تنهض مرة واحدة:

- انا كذلك.. واريد حصة بنفس حصة "نينا" على الاقل.

قالت "كوكي" لاختها:

- احضري دفتر شيكاتي معك من فضلك.

سال "روسيل" عمته "اويل":

- وانت يا عمتي؟ ما رايك؟ هل لديك رغبة في استثمار بضعة دولارات فيه؟

- انا لا استثمر في شيء يعتمد على الحظ

عند عودة "ماتيو" وضع المستند في يد العمة مباشرة. ولكن لم يتح لها الوقت لإلقاء نظرة عليه حيث انتزعه "روسيل" في الحال ليتفحصه بسرعة ثم صفر بشفتيه في إعجاب:

- مذهل!

ردت عليه العمة "اويل" بجفاء:

- افضل ان افحصه بنفسي يا عزيزي! إن لدي نية ان اقرأ هذا التقرير بكل دقة وعناية، وخاصة الجزء الخاص بالهنود الحمر. وباعتبارك اتيا من الشمال يا "ماتيو" فلابد انك على علم تام بالمشاكل التي يمكن أن تحدث عن ذلك لنا.

أمام تلك الكلمات شاب وجه الشاب بعض القسوة:

- إن الهنود على ارضهم وطبيعي ان لهم الحق في احترام حقوقهم

- ربما.. ولكني متمسكة بالتأكد من ذلك.

هم "ماتيو" بالرد ولكن "نينا" تدخلت، قالت مقترحة حتى تتجنب اسوأ العواقب:

- ربما كان من الافضل ان نتركهم يتناقشون بمفردهم

- فكرة حسنة.. ولننتهز الفرصة لنخرج للتريض.

اعتبرت كل من "شوجار" و"كوكي" الفكرة ممتازة، ولكن "روسيل" لم يشاطرهما الراي:

- انتما الاثنتان ستبقيان هنا! إننا سنحتاج إليكما في إعداد مشروع العقد، ومناقشة مختلف النقاط.

سالته "نينا" وقد التمعت عيناها بالمكر:

- هل يمكن ان تقرضني سيارتك يا "روسيل"؟

وحاول الا تلعب إحدى الاعيبك الخسيسة

- عندما يتعلق الأمر بالمال فانا لا امزح ابدا. مري علي في المكتب

بعد ساعة وسيكون كل شيء جاهزاً، وربما استطعت ان اقنع العمة "اويل".. من يدري!

جلست "نينا" خلف عجلة القيادة وألقت نظرة على مرافقها وقالت:

- انت تبدو لي مغتما قليلا بالنسبة لرجل استطاع أن يحقق الصفقة الكبرى. وانا التي اعتقدت اننا سنقيم احتفالا كبيرا.

- إن الامر رائع بحيث لا اصدقه.

- اسمعني: كف عن تعذيب نفسك، وإذا كانت هناك ثغرات في هذا المشروع فإن العمة "اويل" لن يفوتها ذلك، ولن تدعك في حالك إلا بعد أن تزيل تلك الثغرات. لقد سبق ان قلت لك: إنها امراة اريبة وحريصة على أموالها بروحها.

- عندما ذكرت الهنود الحمر أوشكت ان افسد كل شيء.

- إنها تحب ان تزعج منافسها، وهي موهوبة في ذلك.

- لقد لاحظت ذلك يا "نينا". يجب أن اقول لك.

وضعت يدها على فمه ومنعته من الاسترسال وقالت وهي تهز راسها:

- لا اريد ان اسمع شيئا حول هذا الموضوع. وبدلا من الشكوى لماذا لا تعترف -ولو مرة واحدة- انك اثرت في كل الناس بحديثك؟ لقد كانوا جميعا معلقين بشفتيك.

- عدا عمتك

- ولكن ماذا كنت تتعشم؟ أن تقبل مشروعك دون نقاش؟ هذا مستحيل. إنها متمسكة بارائها بنفس الوحشية التي تتمسك بها انت بارائك.

- وهذا بالضبط ما يقلقني!

- لماذا؟ لو كان تقريرك جيدا فليس هناك ما تخشاه.

- إنه جيد واؤكد لك هذا.

- إذن أنا لا أجد هنا مشكلة. ما إن تقرأه عمتي حتى تنسى -في الحال- كل تحفظاتها وتفهم أهمية عرضك. إذن لن نجد صعوبة في إقناعها أكثر من محاولة منعها من الاشتراك في المشروع.

- أنت أيضا كنت متشككة في المشروع.

- لقد عرضت علي المشروع في الوقت الذي لم أكن أتوقعه على الإطلاق. كيف كنت ستظن لو كنت مكاني؟

- ألهذا السبب فقط رفضته؟

همهمت وهي تميل نحوه:

- هذا طبيعي.. طبعا لا. ليس لهذا السبب رفضته. لقد أحسست وقتها أن أموالي تهمك أكثر مني. لقد أحسست أنني مرفوضة.. كيف إذن تلومني؟

- أنا لا ألومك يا "نينا". آه لو علمت كم كنت أتطلع إلى بعض الوقت معك! لسوء الحظ أن هذا يبدو مستحيلا. بعد ساعة من الآن يجب أن نكون في مكتب شقيقك، ولن نذهب إلى أي مكان نكون فيه بمفردنا.. استمعي يا "نينا" جيدا لما سأقوله: مهما حدث أو فعلت فلا تظني أنني لا أريدك.

- عندما بدأت عمتي تثير الشكوك لم تستسلم والدليل على ذلك أنك أعطيتها التقرير.

- دعينا الآن من موضوع الذهب ولنتحدث في مشروع أهم.. ما رأيك في أن نتقارب من بعضنا بعضا أكثر.

- أن نلتقي عندك في "هوتون" أم عندي في "نيويورك"؟

- ما رأيك في أن تأتي معي في هذا الصيف؟

- الصيف القادم هذا؟!

- طبعا.. إن الموسم يبدأ في شهر مايو.

- ولم لا.. إنها فكرة جيدة!

كانت معه تود لو تنسى العالم حولهما، ولكن سرعان ما أثبت العالم وجوده. خرجت الأختان من المنزل ونادتا في الحال على سيارة أجرة وانطلقتا في اتجاه متحف العلوم والصناعة. ثم جاء دور "روسيل" الذي سار وهو متحن للأمام في سرعة وهو شارد.

قالت "نينا" في سرور:

- لابد أن العمة "أويل" استسلمت أخيرا.

كانت تتحرك في قلق ولكنه قال لها:

- اهدئي فهذه ليست الساعة!

- إنني لا أستطيع أن أتمالك نفسي.

- بل يبدو أنك هكذا لا تسهلين علي الأمر.

وصلا إلى مكتب شقيقها متأخرين ربع ساعة. كان شقيقها يتحدث في التليفون مع "جلوريا":

- ماذا هناك يا "جلوريا"؟ هل فقدت روح الدعابة؟

كان يصيح ثم سكت فجأة وقد فغر فمه أمام السماعة التي كانت تطن بعد أن أغلقتها "جلوريا" في وجهه.

قالت "نينا" معلقة:

- لعل هذا يكون درسا قاسيا لك

قال "روسيل" مزمجرا وقد قطب وجهه:

- إن هذا لن يستمر كثيرا. ما إن تعلم بمشروعنا فإنها ستتوسل إلي كي أعيدها.

- أو أن تنتقم منك بإلقاء نفسها أمام "مانيو".

تجهم وجهها أمام هذه الفكرة واحتمال حدوثها

- هل تظنين أنها تجرؤ على ذلك؟

قال "مانيو" في نفاد صبر:

- "نينا"! بحق السماء لا توحي إليه بأفكار مدمرة.

أضاءت ابتسامة واسعة وجه "روسيل" ثم اختفت في الحال. عقد ذراعيه على صدره ونظر إلى الملف الموجود على مكتبه، ثم رفع رأسه في جدية. أحست "نينا" -فجأة- بالقلق فامسكت بيد "ماتيو" قالت وهي تتلعثم وقد حبست أنفاسها:

- إنها العمة "أويل".. أليس كذلك؟ إنها لا تريد أن تقبل.. أليس كذلك؟

- يجب أن نكون واقعيين يا أبنائي! إنه ليس قرارا سهلا بالنسبة لهذه المبالغ الطائلة.

قال "ماتيو" معلقا في ضوء:

- ربما كانت مقتنعة بعدم وجود المنجم

- إنها لن تتمادى، وببعض المثابرة والضغط ستكون مستعدة حتى للاعتراف بأن ملفك له قيمة ممتازة. لقد قرأته حتى آخر كلمة، وأؤكد لكما أنها تأثرت به.

قال "ماتيو":

- إذن المشكلة تأتي من ناحيتي.. إنها لا تثق في شخصيا. اعترف "روسيل" وهو يشعر بعدم الارتياح:

- لسوء الحظ هذا صحيح

زجرته "نينا" وقد احمر وجهها غضبا:

- وأنت طبعا انسقت وراءها ووافقتها. أليس كذلك؟ ألم يقل العم "بو" شيئا؟ والأختان؟

- أنت تعرفين العمة. إنها تجيد ذلك.

- إنني لن أنس لها ذلك.

اكفهر وجه "ماتيو" وقال:

- في هذه الحالة ستطلب مني مغادرة البلدة بسرعة.

- دعونا لا نبالغ في الأمر. إننا لم نته الأمر. هل تعتقدان أنني كنت سآتي إلى مكتبي وأنتظركما ما لم يكن لدي -بدوري- عرض أقدمه

لكما؟ عندما لم أجدكما تحضران في الموعد المحدد خشيت أنكما غيرتما رأيكما في آخر لحظة. هل أقدم لكما شرابا؟

تدخلت "نينا" وقد فقدت صبرها:

- كف عن ألاعيبك يا "روسيل"! هل لديك عرض لنا؟

- الهدوء يا أختي الصغيرة! وسأبدأ باعتبار كل منكما قريبا جدا من الآخر.. لقد فهمت كل شيء.

صاحت "نينا" بلهجة تهديد:

- العرض يا "روسيل"!

- آه.. لقد نسيته! أريد فقط أن أقول لكما: إنني بذلت أقصى ما باستطاعتي للدفاع عن مصالحكما. أما فيما يخصني فإنني مساهم ولكن العمة "أويل"..

- "روسيل"!

- آه.. العرض! أولا: اعلما أن العم "بو" والأختين موافقون. طبعا لم نتحدث في الجزء الذي سيساهمون به، ومن المفهوم أن الأسرة هي التي ستتحكم في الامتياز فور العثور على المنجم وتسجيله.

حدجت "نينا" "ماتيو" كان وجهه جامدا كالثلج، وعيناه تلمعان ببريق غريب. هل قبل الخضوع لشروط الأسرة؟ هذه ليست عادته.

- نحن مستعدون لتوفير ٥٥٪ من تكاليف البحث والتطوير، وبهذا نحتفظ بحقنا في إطلاق اسم العائلة على المشروع: "مناجم هوليداي". في الحقيقة إن عرضنا هو الآتي: إذا استطعتما جمع الباقي - أي الخمسة والأربعين في المائة الباقية - خلال ثلاثين يوما فإننا سنكون مساهمين شركاء.

قالت "نينا" وهي تكاد تختنق من هذا العرض الرهيب:

- ثلاثون يوما فقط؟ ولكن هذا مستحيل!

- إنه صعب يا "نينا"، ولكنه ليس مستحيلا.. وسيكون هذا دليلا على حسن نية "ماتيو"!

الفصل الخامس

تبعت "نينا" "ماتيو" إلى نافذة حجرة المكتب. كانت المدينة تموج تحت اقدامهما بالحياة والحركة. ورغم بعد المسافة فإن تلك الحركة لم تكن مقلقة لها مثل الصمت المطبق الذي التزمه الرجل الواقف بجوارها. لم تواتها الشجاعة أن تقترب منه بشدة رغم رغبتها الملحة أن تفعل ذلك. بدا - فجاة - متباعداً وقد شرد في افكاره. بعد ما فعلته به عائلتها من سوء ماذا يمكنها أن تفعل؟ كان "روسيل" اقل إحساسا وكياسة فاستانف كلامه:

- هذا ليس كل شيء. هناك ايضا شرط او شرطان اخران لابد من مناقشتهما معا.

عندما سمع "ماتيو" هذا الكلام استدار وقد احمر وجهه غضبا:

- ماذا تريدون أكثر من هذا؟ أن اكتب على جبيني انني لست فردا منكم؟ وأن تراقبوني ليلا ونهارا؟

قال "روسيل" موجها الحديث لأخته:

- هل يمزح أم ماذا؟

ردت عليه "نينا" بصوت مخنوق:

- هذا يدهشني!

- اسمع يا "لامارتين": انا احب ايضا ان امزح جدا. ولكن عندما يتعلق الأمر بالمال فالأمر يختلف. انا لا استطيع ان الومك: فقد بدوتا اكثر صراحة نحوك.

اضاءت ابتسامة بسيطة وجه "ماتيو". واحست "نينا" ببصيص من الأمل.. ربما لم يضع بعد؟ قال "روسيل":

- إذن ما رايك في الشرطين؟ هل تريد أن تسمعهما؟

- انا منصت لك.

- حسنا.. بالنسبة لحماية مصالحنا تماما مثل حماية مصالحك لقد حكمنا انه من الأصوب اتخاذ بعض الإجراءات.

- كف يا "روسيل" عن اللف والدوران حول الموضوع!

- دعيني أتولى الأمر.. هل هذا ممكن؟ ودعيه هو يقرر أن مشروعا بهذا الثقل والخطورة يجب أن يعرف ما ينتظره. وإذا لم يكن يعرف فمن الأفضل أن تكون لديه فكرة.

كل ما تريده هو اتخاذ بعض الاحتياطات بينما هو منشغل في جمع بقية التمويل. اه من النساء!

التفت "روسيل" نحو "ماتيو" وهذه المرة منع "ماتيو" "نينا" من التدخل. ثم قال بإلحاح:

- ما هي الشروط؟

- كما قلت لك الآن إنها شروط بسيطة للغاية.

أولاً: باعتبار "نينا" تمثل العائلة فإننا نطلب منها أن توقع كضامنة.

- لا.. يا "روسيل"!

أكمل "روسيل" حديثه:

- أن توقع كضامنة على جميع الشيكات.

صاحت:

- أرفض هذا الشرط.

منع "ماتيو" الشابة من الكلام وأكمل:

- إنه أمر واضح.. ما هو الشرط الثاني؟

- كل المصروفات والطلبات وكل ما يلزم من معدات وتموين لابد أن يمر على مكتبي أولا.

أخذت "نينا" تزمجر في ركن من الحجرة. بعض الاحتياطات.. كيف يجرؤ أن يقدم هذا الاقتراح؟ لم تكن سعيدة بمضايقة "ماتيو" في كل مناسبة خاصة أن العمة "أويل" لا تكتفي بذلك فحسب وإنما أيضا تحاول بكل طريقة إفشال المشروع.. أن توكل التموين إلى "روسيل" يالها من فكرة سخيفة!

- لقد فعلتم كل ما في وسعكم حتى أصبح مقيد اليدين والقدمين تماما.

تظاهر "روسيل" بالسعال وهو يشعر بعدم الارتياح.

قال "ماتيو":

- أنت تعرف طبعا أنه ليس لي حرية الاختيار.

- لقد بذلنا كل ما في وسعنا لمواجهة كافة الاحتمالات. والأمر كان من الممكن أن يكون أسوأ من ذلك. لقد أرادت الأختان التوءمتان أن تشتركا في الإدارة، ولكني وجدت صعوبة حتى اقنعتهما بأن تصرفا النظر عن ذلك.

قال "ماتيو" وهو يطلق ضحكة عالية غير متوقعة:

- ومن المفروض أن اشكرك على ذلك. أين إذن يمكنني أن أوقع؟

- هنا.. أسفل هذه الصفحة. ولكن لا توقع بهذا القلم الحبر على

مكتبي لأنه غير صالح.

- إنني مستعد للتوقيع بدمي لو أردت.

قال "روسيل" وهو يدس الوثيقة تحت نظر "ماتيو":

- يستحسن أن تراجعه لأنك ستحتاج إليه لحظة المشاركة والتقسيم. هذا القصر تحفة فنية صنعناها وستدهش العمة "أويل" عندما يصلها الخبر أنها كانت واثقة من أنك لن تقبل.

لم تنتبه "نينا" جيدا لتعليق شقيقها. كانت سعيدة وهي ترى "ماتيو" - أخيرا - يوافق على العقد. ولم ترفع عينيها عنه. لقد فعلت عائلتها كل ما في وسعها لإحباط المشروع ولكنها لم تنجح. في الحقيقة إن "نينا" بفضل ذلك ستتمكن من قضاء أوقات طويلة مع "ماتيو". ابتسمت له مشرقة عندما رفع رأسه نحوها. قال له "روسيل":

- إذن متى نبدأ؟

- سأبدأ الهجوم اعتبارا من يوم الخميس. إن مؤسسة التنقيب والتطوير والاستخراج تجتمع مرة واحدة في السنة في "تورونتو" حيث يوجد هناك كل المحترفين للتشاور في الأعمال. ويجب ألا تفوتني هذه الفرصة.

- ماذا تعني بالهجوم؟ سأحضر معك.

عندما سمع "ماتيو" تلك الكلمات من "نينا" أشرق وجهه بالسعادة. تقدمت "نينا" نحوه. إنها مستعدة لأن تصحبه حتى نهاية العالم. تساءلت هل سيصحبها إلى هناك في الحال حتى لا تتركه؟ ولكنه بدلا من ذلك مرر أصابعه في شعره وقال في تردد:

- ليس هذه المرة يا"نينا".. إنني أنا الذي ترغب عمتك "أويل" أن أواجه المحنة.. ولابد أن أواجهها بمفردي.

- ولكنك لا تستطيع.

- هذا ممكن ولكني أعتمد على بذل أقصى جهدي.

- ليس هذا ما قصدته يا "ماتيو"! إنك لا تستطيع أن ترحل وتتركني هنا بمفردي.

- ساعود لأصحبك.

أرادت أن تعترض ولكنها فضلت ألا تفعل.

همهمت بصوت خافت:

- لماذا دائما أكون أنا التي علي أن أتعذب؟

تنحنح "روسيل" قبل أن يتدخل قائلا:

- لنعد إلى موضوعنا من فضلكما. إن تلك الزيارة لـ"تورونتو" تبدو لي فكرة ممتازة. إن ال"هوليداي" مشهورون جدا هناك واستفد من ذلك بذكر اسم العم "بو".

- ربما أفعل إذا لم أستطع أن أفعل شيئا آخر.

قالت "نينا":

- أما أنا فأستطيع أن أستخدمه دون حرج.

- ولكن لسوء الحظ لن تكوني هناك.

- هل نسيت أننا شركاء.

- فعلا بنسبة ٥٥٪ التي تحملها عائلتك. أما فيما يتعلق بالباقي فلا دخل لك به. إنني سأتصرف بمفردي.

- هذا ما لم أكن أريده.

- ولا أنا أيضا. ولكني أذكرك أنه ليس لي الخيار. إن عمتك مقتنعة أنني لا أعمل إلا بدافع مصلحتي الخاصة فقط. وأنت تعرفين أنها مخطئة في ظنها. وتعرفين أنني متمسك جدا بأن أثبت ذلك لها.

- طبعا أعرف. وأريد أن أساعدك في تحقيقه.

- لذلك يجب ألا تدفعيني لأن أصحبك معي. يجب أن تفهم عائلتك أنه إذا كنت قد قبلت شروطها فإن ذلك من أجل أن أسهل لهم المهمة.

كان "روسيل" يتابع الحديث ثم تجهم فجأة وقال:

- هذه المرة تماديت أكثر من اللازم. إن من حق "نينا" تماما أن تصحبك.

حاول "ماتيو" أن يحتج ولكن "روسيل" منعه.

- اسمع! لا تحاول أن تلعب دور البطل.. لماذا تخاطر بفقد كل شيء؟ أيا كان ما سيحدث فإنك فور إحضارك النقود فإن العمة "أويل" ستغير رأيها. خذ "نينا" معك وستكون مفيدة جدا لك.

- وإذا ما لامني على ذلك؟

- مستحيل. إنها تمثل العائلة وهو منصوص عليه في العقد.

رد "ماتيو" بحدة وهو يفتح الباب:

- ولكن "تورونتو" ليس منصوصا عليها بالعقد.

خرج دون أن يضيف كلمة واحدة. ذهل "روسيل" والتفت إلى أخته وسألها:

- هل يمزح أم ماذا؟

ردت عليه "نينا" وقد بدت ساهمة:

- لا.. لا أعتقد.

- يا لها من أخلاق! من الأفضل أن تراقبيه.

- اصمت إذن.. أنت لا تعرف شيئا.

- ربما.. ولكني لو كنت مكانك لذهبت إلى "تورونتو".

أخذت "نينا" حقيبة يدها لترحل بدورها وقالت له وهي تبتسم:

- لا تقلق علي!

كان عدد الرحلات من "شيكاغو" عديدة. ذهبت مباشرة بعد وصولها "تورونتو" إلى فندق "رويال يورك". فكانت قد وصلت قبل "ماتيو" وانتهزت الفرصة لتلغي حجز حجرته بالفندق. وأن تقيم في جناح حجزته، وسجلت نفسها في المؤتمر. ثم تساءلت ماذا سيكون رد فعل "ماتيو" عندما يراها. بعد تفكير رصين قررت - في النهاية - أن تقابله

وجها لوجه وسط الجمهور. الأعمال أولا.. وعندما صعد "ماتيو" إلى الجناح أعطى الحمال بقشيشا سخيا فاخبره بوجود شريكته في بهو الاستقبال.

قبل أن تقوم "نينا" بجولة بين المحترفين في المؤسسة فحصت -بسرعة- الجناح الذي ستقيم فيه. لقد احسن الفندق تجهيز الحجرات التي كانت فسيحة ومضيئة. وقد جهز الجناح بحيث يصلح للاجتماعات للأعمال. والعشاء تحت ضوء النجف. ومع ذلك شيء واحد ينقص هذا الديكور اللمسة الشخصية. مثل باقة من الزهور. قررت أن تطلبها فيما بعد.

كانت قاعات الاجتماعات مزنحمة بالناس عندما دخلتها أخيرا. أخذت كل الرؤوس تتطلع إليها أثناء مرورها. وحاول البعض قراءة اسمها من على البادج الذي وضعته على جانب صدرها. سعدت بذلك لأنها حققت بعض النجاح. لمحها "ماتيو" بالقرب من قاعة المؤتمرات وهي تنظر بانتباه إلى مواد العرض.

- ما الذي جرى لك؟ لماذا أتيت؟

- هل هكذا تستقبلني؟

- لقد أوضحت جيدا أنني أريد أن أكون بمفردي.. هل أنت صماء؟

كانت "نينا" تتوقع ذلك حقا: رد فعل قاس لهذه الدرجة وبدلا من أن تهدئه نظرت في عينيه مباشرة وهي تبتسم في مكر. ثم قالت بحنان:

- لقد اشتقت إليك.

- هذه ليست أول مرة.. كان عليك أن تتصلي بي..

- اعلم أن التليفون لا يصلح لأمور معينة.

- نحن هنا يا "نينا" للحديث في الأعمال.

- وانا هنا من أجل ذلك.. ألست سعيدا برؤيتي؟

- سعيد!! هذا اقل ما يمكن أن اقوله.

قاطعته وهي تبتسم:

- واعتقد انني مررت واثرت الانتباه.

قال "ماتيو" وهو يلقي نظرة على الأذن التي تسترق السمع حولهما:

- هذا ما أراه. واعتقد انهم يتحرقون شوقا لمعرفة المزيد عنك.

- اعتبارا من هذا المساء ستصبح المجموعة "هوليداي" "لامارتين" هنا مطلوبة جدا أكثر من أي مجموعة أخرى.

لم ينصت إليها "ماتيو" وإنما سحبها من ذراعها إلى أحد الأركان وقال مزمجرا:

- لابد أن احدثك.

- اينما تحب وكيفما تحب.. انا تحت امرك!

- في بهو الاستقبال إذا لم يزعجك ذلك. وعلى أية حال لابد أن أعرف عليه لأعرف ماذا فعلوا بالنسبة لحجزتي. إنني احيانا اتساءل إن كنت انت.. التي دبرت ذلك؟

- آه.. نعم. إن الأمر الوحيد أمامك هو أن تقبل مصاحبتي في جناحي بكل لطف.. لست ارى اي مشكلة في ذلك.

- انت لا ترين اي مشكلة؟! هيا بنا لبهو الاستقبال.

قالت له مؤكدة:

- لا داعي لمضايقة الموظفين: فلا يوجد أي غرفة خالية وانني إحساس أن معظم رجال المناجم غير متزوجين.

- وكيف يمكنهم أن يتزوجوا؟ ليس لديهم الإمكانات للزواج. فقط أصحاب رؤوس الأموال هم الذين يستطيعون الزواج.

- انت تطمئنني: لقد اعتقدت -للحظات- انه لا يوجد امرأة واحدة استطيع أن اثرثر معها.

- إنني لا أريد أن اسمعك اكثر من ذلك. انت ستستقلين الطائرة القادمة.

- لا مجال للجدال في ذلك.

لم يكن لديها نية للتراجع ولا هو ايضا. نظرت إليه في عينيه مباشرة وقد قررت ان تظل في فندق "روبال يورك" مهما حدث.

- إنني اريد ان اقوم بهذه المهمة بمفردي.

- موافقة. لم اقل العكس ولكني مع ذلك سابقى. نحن شريكان وسنظل كذلك للنهاية مهما كانت شروط الاسرة.

- إذن لقد حضرت لمراقبتي؟

- لا.. لقد جئت لاستعلم. إنني لا اعرف شيئا في هذا المجال. واتعلم ان استفيد من هذه الفرصة لاتعود على الوسط. ومن ناحية اخرى استطيع ان امد لك يد المساعدة بالنسبة للجزء الخاص بالتمويل. إن الامر ليس دائما سهلا وسترى انك ستحتاج إلي. لماذا لا تثق بي؟ انا التي وثقت بك جدا.

- الامر لا يتعلق بالثقة.

- هل انت متاكد من ذلك؟

لم يجد "ماتيو" الوقت للرد عليها حيث قال رجل يقف خلفه:

- هاهو "ماتيو"! كيف حالك؟ هل لازلت تبحث عن تمويل لهذا المشروع؟

- نعم إلى حد ما. وانت ماذا اصبحت؟

- لازلت في "فانكوفر" حيث تراني في صحة ممتازة. إن المساهمين متوفرون في المكان محملين بالاموال وعلى استعداد للمخاطرة.

سالت "نينا" الرجل الذي كان يبتسم ابتسامة عريضة:

- وانت. هل انت مساهم ام مستغل؟

- هذا وذاك.

اختلست "نينا" نظرة إلى "ماتيو" تنتظر منه إشارة. ولكنه عندما التزم الصمت قررت التدخل.

- إننا لم نتعارف بعد.

قال "ماتيو" في الحال باقتضاب:

- "نينا".. "هوليداي".. "راي ماكينون".

صافح الغريب يد "نينا" ثم مال على البادج ليقرا الاسم وصاح:

- "لامارتين".. "هوليداي".. أوه.. حسنا يا بني!

إذا كانت هذه المخلوقة الرائعة هي شريكتك فلابد ان تنجح الامور - بالنسبة لك - بسهولة.

قالت "نينا" دون ان تضيع وقتا:

- إن "ماتيو" يفكر في استئناف التنقيب والابحاث هذا الصيف.

- اهذا صحيح؟

اضاف "ماتيو":

- لقد عثرت على مناطق جديدة ستهمك دون شك.

- ربما.. ولكن يجب اولا ان اعتني بزوجتي. إنها تكره كل ماله صلة بالمناجم. ولكنها سرعان ما تغير رايها عندما يجلب لها المال ما تريده.

قالت "نينا" في لهجة تفاهم:

- إنني استطيع ان افهمها.

- هل تقترحين علي ان تهتمي بها؟

- إن "ماتيو" سيكون مطلوبا جدا فور انتشار الخبر. وعليك من جانبك ان تحاول ان تقنعها.

لم ينتظر "راي" وإنما اشار -في الحال- لزوجته لتلتحق بهم.

- تعالي يا "اودري" اريد ان اقدمك لشخص ما. لدي إحساس هذه المرة ان "ماتيو" وقع على ثروة.

ادركت "نينا" بسرعة ان البحث عن رؤوس الاموال ليس بالسهولة التي تخيلتها. على الاقل بالنسبة لامراة. بعد ان قضت النهار في صحبة "اودري ماك كينون" عادت في المساء إلى الفندق حوالي الساعة

الحادية عشرة وهي منهكة تماما.

عندما دخلت الجناح الخالي وجدت امتعة "ماتيو" فوق سرير إحدى الغرفتين. ليست غرفتها. و"ماتيو" نفسه لم يكن موجودا. لقد ترك رسالة بالقرب من التليفون:

"لو كان لديك وقت فاتصلي بالسيدة "لانج" شركة "تيك" وشريكه الحجرة ٧٠٦ والسيدة "هوج" شركة "نوراندا المندمجة" الحجرة ١١٤١. انت مطلوبة بشدة". دخلت "نينا" الفراش وهي سعيدة لان "ماتيو" وافق اخيرا على وجودها ومساعدتها له، ولكن باي ثمن؟..

كان اليوم التالي هو الجمعة ولم تنل "نينا" لحظة راحة. زيارة حوانيت الآثار والحانيات مع السيدة "تيك وشريكها"، والعشاء مع السيدة "نوراندا المندمجة" في فندق "وينسور ارمز". نهار آخر بدون "ماتيو". كانت الرسالة التي تركها هذا المساء:

"حفل كوكتيل غدا في السادسة. لما كنت قد انهكت تعاما فاعتقد انك سيكون لديك فرصة افضل مني".

كان نهار السبت عذابا آخر: قضت فترة الصباح في سوق "كنزنجتون" في صحبة السيدة "تيك وشريكها" من اجل آخر مشترياتها قبل رحيلها إلى "فانكوفر" وتناولت الغداء في مطعم صيني في صحبة السيدة "نوراندا المندمجة". ثم رحلتا معا لزيارة حديقة الحيوانات وحوالي الرابعة بعد الظهر عندما عادت إلى الفندق وجدت ان الجناح مزين تماما من اجل حفل الكوكتيل. وقبل ان تستعد للحفل اخذت حماما اولا وتمددت - في استرخاء - في البانيو ثم غسلت شعرها وارتدت ملابسها ثم اخذت تغسل اسنانها بالمعجون والفرشاة. عندما دخل "ماتيو" قال لها:

- انا اسف!

قالت وفمها ممتلئ برغاوي معجون الاسنان:

- لا داعي للاسف.

انفجر "ماتيو" ضاحكا وعندما رفعت راسها بعد ان غسلت اسنانها وجدت وجهه مشرقا. تساءلت هل هذا الإشراق يرجع إلى انه قابلها بعد يوم كامل من الفراق؟ ام لان اعمالهما بدات تنجح؟ قالت له بسرعة وهي تستدير نحوه:

- إنك تبدو في كامل هيئتك على ما ارى. هل بسبب انه بعد ثلاثة ايام من الهدنة والفراق قابلتني؟

- ربما.

سمعا ضجة خلف الباب انتزعتهما من احلامهما. رفع "ماتيو" راسه وقد لمع بريق غريب في عينيه. همس:

- لابد ان ارتدي ملابس السهرة. فقد تاخر الوقت. هل نسيت الكوكتيل؟ إن ضيوفنا لديهم الرغبة في إعطائنا النقود.

- هل هذا صحيح؟

- وربما لن ينتظر ضيوفنا أكثر من ذلك.

حققت السهرة نجاحا حقيقيا. كانت "نينا" قد ارتدت معطفا من الفرو اللامبه الناعم وهي تتبختر بين المدعوين وهي في حالة مزاجية مرتفعة، وقد انطلقت الضحكات في كل مكان. كانت سعيدة بوجودها بجوار "ماتيو" لتتمتع بحضوره اخيرا.

حوالي السابعة والنصف اخذ "راي ماكينون" إلى إحدى الغرفات ليتاقشه على انفراد. وعند عودتهما بعد ذلك لم يعد "لامارتين" يبتسم بجوار "راي" الذي كان يشع وجهه سعادة. تجهمت "نينا" في قلق: ما الذي حدث؟

كان "راي" هو اول من بدا الحديث بعد ان انهى على ما في كاسه من شراب:

- استعدي يا "اودري" فإننا سنعود. لقد حان الوقت ان نعود إلى

موضوعاتنا. ليس لدي رغبة في أن اترك مكاني في المنافسة.

صاحت السيدة "ماكينون" في دهشة:

- هذا المساء نفسه؟

- خير البر عاجله. أنا لست اشعر بالهدوء.

سأل السيد صاحب شركة "تيك وشريكه":

- ألعشم ألا يكون الأمر خطيراً؟

- الإنسان لا يعرف دائما ما سيحدث.

سأل السيد صاحب "توراندا المندمجة" في قلق:

- هل تعتقد أن هناك آخرين على علم بمشروعك؟

أجاب "ماتيو" وهو في حالة ضيق:

- لا أظن. ولكن "راي" يريد أن أكون أول من في الميدان.

شرح "راي" وابتسامة عريضة على شفتيه:

- أريد أن أضعه على الطريق حتى يستعد.. وإذا لم تدفعه فإنه لن يبدأ العمل أبدا!

سألته "نينا" متلعثمة:

- هل سترحل إلى "هوتون" الليلة؟

- لا مفر من ذلك يا "نينا". إن أمامي أشياء كثيرة أعدها قبل أن أذهب إلى أرض الأبحاث: تنظيم خطة العمل وإعداد المواد والتكفل بالتموينات. إن كل ذلك سيأخذ مني وقتا.

- ولكني كنت أعتقد أننا نحن الذين..

أعلن "ماكينون":

- لقد توقعت أن تتكفلي بالاستعدادات والتجهيزات من "شيكاغو" مباشرة. ولكن هذا أمر غير معقول، ولكنك تغامرين بكثير من المصروفات، ونحن نغامر بالوقت. وعلى عكس أسرتك نحن نعرف المنجم، وكل ما يتعلق بالتنقيب واستخراج المعدن. كذلك نحن نفرض

على أسرتك شرطا واحدا: أن يكون "ماتيو" هو أول من يسجل الامتياز.

اعترفت "نينا" وهي تغتصب ابتسامة:

- طبعا.. إنني أفهم ذلك.

- حسنا جدا.. واطلبي من "ماتيو" أن يصحبك في جولة بعد انتهاء العمل. أما بالنسبة لك يا بني فهيا بسرعة. ولا تتأخر لأنني أكره الانتظار.. أليس كذلك يا "أودري"؟

وافقته زوجته بهزة من رأسها وقالت لـ"نينا" ناصحة وهي تقرص خدها في حركة ود حميمة:

- خذي بالك من هذا! ولكنك ستتعودين.. بل أحيانا ستجدين في ذلك بعض المزايا.

رغم الصدمة حاولت "نينا" أن تحتفظ بابتسامتها حتى نهاية السهرة. ولكن ما إن انغلق الباب وراء آخر مدعو حتى استدارت نحو "ماتيو" وهي مستاءة، ثم قالت معلقة بلهجة يعوزها الصبر:

- إن كل هذه الحكاية ستفسد حياتي.

- اعلم هذا يا "نينا". ولكن ليس أمامي حرية الاختيار.

- ولكن لماذا هذا المساء؟ كان من الممكن أن تقترح عليه الرحيل غدا.

- لقد فعلت ذلك طبعا ولكن دون فائدة. لقد رأيت بنفسك رد فعل "راي". من الصعب جعله يغير رأيه وكلما أصررت على الرحيل غدا تمسك بأن أصحبه في السفر هذا المساء، كما يجب عليك أن تدركي أن المال دائما له الغلبة.

لم تقتنع "نينا" بسهولة. إنها تبحث عن كل الأعذار الممكنة وغير المقصودة لتؤخر من رحيل "ماتيو": شروط أسرتها، وغياب "روسيل" ثم رحلة الطيران الخاصة وسط الليل. ولكن "ماتيو" كان أقوى من ذلك. كل أسئلتها لها إجابات عنده. وكل المشاكل لها حل. لم تعد تعرف ما تقوله. جلست -في عناد- في ركنها. تردد "ماتيو" لحظة ثم لحق بها.

- من فضلك يا "نينا".. كفي عن تعذيبي! هل تظنين أن لي رغبة في الرحيل؟ أنت تعرفين جيدا أنني لا أريد. ولكنك تعرفين أيضا أنه لا مفر أمامي. وعند عودتي سأعوضك عن كل شيء وسيكون العمر كله أمامنا معا بلياليه وأيامه.

أضاءت ابتسامة وجه "نينا" شيئا فشيئا وقالت:

- رائع! ولكن لدي فكرة أحسن..

- إن "راي" كان على حق تماما يا "نينا".. إذا لم أرحل الليلة فلن أرحل أبدا.

- وماذا لو رحلت معكما أنا أيضا؟

- ماذا تقصدين؟

- نعم.. يمكنني أن آتي إليك الأسبوع القادم.

تلاقت نظراتهما وقتا طويلا وقال ببطء:

- إنها أشهر طويلة وسط الصحراء بعيدا عن كل الحضارة.. إنها ليست رحلة متعة.

- سنكون معا يا "ماتيو".

- لا يا "نينا".. هذا مستحيل.

- لماذا؟

- كم أود أن نكون معا! ولكني لا أستطيع أن أفرض عليك حياة قاسية لهذه الدرجة.

- إنني سأتحملها بكل سعادة.

- لا يا "نينا".. أنت لا تعرفين شيئا عن التنقيب، ولا عن حياة الخيام. يجب أن تحملي حقيبة ثقيلة على ظهرك وتسيري أميالا طويلة.. دون توقف.

قاطعته وهي تبتسم:

- أنا شريكة.

- إن الأمر سيكون شاقاً جدا. هل تحسين أنك قادرة على حمل ثلاثين كيلوجراما يوميا؟ والسير خمسين كيلومترا؟

رغم أن "نينا" لم تكن متأكدة من نفسها إلا أنها لم تتردد لحظة وقالت في الحال:

- ليس هناك أي مشكلة في ذلك.

- وليس هذا كل شيء.

- آه.. حسنا؟

- أنا لا أمزح يا "نينا".. يجب أن تساعديني في نصب الخيمة وإعداد الطعام وغسل المواعين والملابس.

- تحت ضوء القمر!

- هل سمعت ما قاله "راي"؟ إنني لن أستطيع أن أسمح لنفسي بأي تأخير.

- إنه كان يمزح.. أنا متأكدة من ذلك.

- لا طبعا. إن "راي" -مثله في ذلك مثل كل أسرته- لا يمزح مع النقود. وعندما راك شك في أن وجودك بجواري سيجعلني لا أكرس كل وقتي للعمل.. وربما كان هذا هو السبب في أنه دفعني للرحيل الليلة.

- ولكن هذا ظلم يا "ماتيو"! أنا لم أزعجك أبدا في عطلة نهاية الأسبوع ولا يمكن أن تقول العكس. ولا تنس أننا شريكان. ولو سمعت العمة "أوبل" تعترض هكذا لتساءلت عما إذا كنت تخفي عنا شيئا

- أرجوك بحق السماء يا "نينا".

- إذن! إذا كانت الحالة ليست هكذا فخذني معك.

- هل أتعرض للتهديد والابتزاز الآن؟

أعلنت في رقة:

- لا على الإطلاق!

- إذن دعيني أقول لك إنك إن وضعت قدمك هناك فلن يكون لك

الخيار. ومن المستحيل ان تعودي ادراجك!

- إن هذا ما اتمناه تماما.

- ولا تعتقدي انه سيكون لدي وقت لتدليلك.

- أعدك ان اكون مطيعة وعاقلة.

- هل تريدين حقا المجيء معي؟

- نعم.

تردد "ماتيو" لحظات طويلة ثم همس بصوت أجش:

- تعالي معي!

وتبعته.

www.rewity.com
Hindoda

الفصل السادس

حضرت "نينا" سماعة التليفون في تجويف كتفها لتخرج شيئا من حقيبة يدها. على الطرف الآخر من الخط بدا صوت "ليبرتي" النعسان وكأنه آت من كوكب آخر:

- "نينا"! ما الذي يجري؟ هل تعلمين انها السادسة صباحا؟

- وانت تشكين في ذلك؟ تصوري ان الوقت هنا ليس سوى الرابعة. وانني لم اغمض عيني طوال الليل. بالإضافة إلى ان الحرارة خمس درجات وأموت من البرد.

- اين أنت إذن؟ في القطب الشمالي؟

- تقريبا. في خليج الرعد "ثاندرباي".

- لا اعرفه.

- هذا لا يدهشني. انت لا تعرفين مكانا سوى "نيويورك". انا في "كندا" يا عزيزتي أو بالتحديد في مطار "خليج الرعد".

- فهمت.. وهل يمكنني أن أسألك ماذا تفعلين هناك؟

- انتظر "ماتيو" نحن مستعدون تماما للرحيل للتنقيب.

- أتعشم أن تكوني تمزحين!

- لا على الإطلاق.. تصوري: لا يوجد سوانا بعيدين عن الجميع إنه جو رومانسي جدا.. أليس كذلك؟

- ربما كان رومانسيا فعلا ولكن من الصعب تصديقه. كيف ستنجحين وأنت التي لا ترحل إلا ومعها طن من الأمتعة؟

أخذت "نينا" تتطلع -خلال زجاج قاعة انتظار المطار- إلى الشمس وهي تشرق على أرض المطار. وعلى بعد منها -أسفل الطائرة التي أقلتها من "شيكاغو"- كان الحمالون يكومون -في صبر- العديد من الحقائب. ردت "نينا" على سؤال صديقتها في ثقة:

- لقد أخذت معي الحد الأدنى. و"ماتيو" يريد مني بالأخص ألا أضيع وقته.

- ماذا تفعلين هناك؟ هل تقومين بجولة شراء أم ماذا؟

قالت "نينا" - وهي منفعلة - في سماعة التليفون:

- إنك لن تصدقيني لو أخبرتك.. وكل ذلك في سرية تامة. إنني لا أعرف حتى وجهة رحلتنا ولا خط سيرها. كل ما أعرفه هو أننا ما إن نضع أقدامنا هناك حتى ننطلق في العمل. إن ممولينا يخشون أن يعرف بعض المنقبين الآخرين بمشروعنا. ويجب أن نكون أول من يحصلون على امتياز التنقيب عن الذهب.

- هل تقصدين أنك ستتبعينه للنهاية؟

- طبعا سأفعل وطوال أربعة أشهر كاملة.

- لقد فقدت عقلك يا مسكينة!

- ليس أمامي سوى هذا: إما أن أفعل ذلك أو أفقد كل شيء.

- كان بإمكانك أن تعودي إلى "نيويورك" وانتظاره.

- لمدة ستة عشر أسبوعا؟

قالت "ليبرتي" معترفة بصوت رقيق:

- أنا أفهمك.. ولابد أنه هو أيضا متمسك بك حتى يقوم بهذه المخاطرة. وأعترف أنني لو كنت مكانه لما صحبتك معي. أنت وسط الطبيعة! إنه الجنون المطبق!

- أنت تبالغين يا "ليبرتي"!

أخذت الصديقتان تثرثران وطلبت "نينا" من "ليبرتي" أن ترسل إليها البريد عن طريق شقيقها. فزعت "ليبرتي" عندما علمت أن "روسيل" هو المكلف بالتموين. فجأة سمعت أزيز طائرة قطع حديثهما. صاحت "نينا" وقلبها ينتفض بشدة:

- لقد وصل "ماتيو".. لابد أن أسرع يا "ليبرتي".. وتمني لي حظا سعيدا!

- اسمعي: إنني أتمنى لك كل ما تريدين. وإذا عدت في يوم ما من تلك الرحلة السياحية فلا تنسي أن تعطينا إشارة.. وادعينا إلى حفل زواجك.

قالت "نينا" قبل أن تضع السماعة مكانها:

- هذا وعد.

لم تهتم بارتداء سترتها وجرت نحو "ماتيو" وقد نسيت التعب والبرد في الحال. سألها:

- هل تم الجزء الأول من رحلتك بخير؟

- نعم

- ولكنك ترتجفين!

هزت رأسها نفيا لتطمئنه. ليست هذه لحظة التراجع ورغم البرد الشديد لم تشك وقالت:

- إن فرحة لقائك هي التي وضعتني في هذه الحالة.

- تعالي.. تعالي لتتدفئي!

على بعد منهما برزت طائرة اصغر من سفيفة المطار وسارت إلى أن وقفت عند امتعة "نينا". هبط الطيار من المقصورة واقترب منهما بعد ان اصدر اوامره للعمال.

- ابدءوا في التحميل وساعود خلال عشرين دقيقة.

استدار "ماتيو" نحو "نينا" بعد أن حيا الطيار وسالها:

- هل انت مستعدة؟ اين امتعتك؟ في الداخل؟

قالت له وهي تشير إلى جبل الحقائب أسفل الطائرة:

- لا إنها هناك.

فغر "ماتيو" فمه مصعوقا وقال:

- لا تقولي: إن "روسيل" أرسل لك كل هذا.. لقد سبق وحذرته.

- هذه ليست غلطته فهو لم يرسل لنا سوى كرتونتين من مواد التموين، أما الباقي فهي غلطتي.

- كل هذه الحقائب.. أتعشم أن تكوني تمزحين!

- اسمع: لقد بذلت اقصى ما في وسعي..

- هل تتصورين أن تحملي كل هذا في حقيبة واحدة على الظهر؟

- أعرف ولكن..

- ماذا تظنين نفسك فاعلة.. تؤجرين حمالين؟

- لقد فكرت أن..

قال وهو يمرر أصابعه في شعره في عصبية:

- .. حتى يستطيعوا - بعد ذلك - أن يتحدثوا للجميع عن مشروعنا. أرجوك يا "نينا" لا تغضبي مني. لقد كان علي أن أتوقع أنك لن تتحملي الرحلة، ولكن كانت لدي رغبة شديدة أن تصحبيني..

- امنحني عشر دقائق وساعيد ترتيب حقائبي.

- لا.. إنه الجنون بعينه أن اصحبك معي.

- خمس دقائق يا "ماتيو"!

- أنت لا تفهمين.. حقائبك شيء.. ولكنها ليست المشكلة الوحيدة.

- ما المشكلة إذن؟

- إن الأخطار متوفرة في الصحراء والغابة، خاصة بالنسبة لشخص مثلك لم يسبق أن وضع قدمه عليها أبدا. إنني حريص عليك لدرجة لا تسمح لي أن أجرك معي في تلك المغامرة. سواء أردت أم لم ارد فإن علي أن اقوم بهذه الرحلة بمفردي. الا تفهمين ذلك؟

- ولكنك سترحل لشهور طويلة.

- أرجوك أن تكفي عن معارضتي. هل تعتقدين انه يسعدني أن اتركك؟

- اعدك أن آخذ بالي.

- إن مكانك يا "نينا" وسط السهرات وحفلات الكوكتيل واجتماعات الاعمال ولكن ليس في الغابة. هل تعتقدين انك قادرة على أن تتصالحي نفسك امام دب جائع أو موجة حرارة؟ بدون خبرة يمكن أن يقع اي شيء.

- انا مستعدة لأن أتبعك. وانا سريعة التعلم.

- لا تحاولي أن تسبلي لي عينيك يا "نينا"!

- وانا بجوارك لن أخشى شيئا.

- اسمعيني: إذا كنت اقول لك ذلك فإنه من أجل صالحك وليس لانني أريد التخلص منك.

- إذن خذني معك أرجوك.

- ستكونين تعيسة.

- بدونك سأكون تعيسة فعلا.

- حسنا.. أسرعي بتقليل متاعك وسانتكفل بالباقي.

ابتعد نحو المكاتب ليتخذ إجراءات إعادة متاعها. أما "نينا" فلم

تضيع اي دقيقة حتى تعيد ترتيب اشيائها، واخذت فقط اقل القليل:
بعض البنطلونات الجينز، والقمصان، والـ"تي-شيرت"، والملابس الداخلية، واحذية صالحة للسير الطويل وبعض ادوات التجميل، وعندما عاد "ماتيو" ارته نتيجة عملها وقالت في فخر:

- انا مستعدة للإقلاع!

راجع "ماتيو" بسرعة محتويات الكرتونات التي ارسلها "روسيل"، واشرق وجهه بابتسامة عريضة. قال لها وهو يعطيها حقيبة ظهر كبيرة:

- حاولي ان تضعي كل شيء بداخلها. وعند وصولنا سانريك على طريقة حملها قبل ان نبدا بعثتنا.

نظرت خلسة إلى حقيبته وحاولت ان تضع اشياءها مثله، ولكن وجدت ان حقيبته اكثر نظاما من حقيبتها.

اتخذ الطيار مكانه في الطائرة وصعد هنديان إلى داخل الطائرة حيث جلسا على مقعدين متجاورين، ثم جاء دور "ماتيو" و"تينا" ليلحقا بهم. صاح الطيار:

- إذا كنتما مستعدين فاصعدا!

امسكت "تينا" بحافة مقعدها وتشبثت به.. هذه اول مرة تستقل مثل هذا النوع من الطائرات المزعجة في حين لم يرمش اي من الهنديين وظلا ثابتين كالتماثيل. وعندما التفتت إلى "ماتيو" رأته مثلهما ويبدو انهم تعودوا على هذه الرحلات الخطرة. عبرت الطائرة فوق سطح البحيرة اللامع لتنتقل إلى مساحات خضراء مغطاة بالأشجار تتناثر بداخلها - هنا وهناك - بضع ترع، وبحيرات صغيرة، وطرق ضيقة. صاح "ماتيو" فجاة بجوارها:

- رائع! اليس كذلك؟

همهمت وهي تمسك بيده ولا تجرؤ على الميل لاسفل.

- لست ادري. إنني لا استطيع ان انظر إلى اسفل.. إنه جميل ولكنه خال.

كان هبوط الطائرة اكثر رعبا من صعودها. وكان المطار عبارة عن كبينة في الركن وسط البراري وعمود نور وحيد. لم تتساءل "تينا" حتى كيف هبط الطيار وكيف استطاع ان يعرف المكان. هبط الهنديان اولا وتبادلا بضع كلمات مع "ماتيو" قبل ان يختفيا وسط الغابة. اخرج الطيار الحقيبتين الخاصتين بـ"ماتيو" و"تينا"، ثم ساعدهما على الهبوط. غادرت الطائرة المكان بعد ان انزلت المسافرين واختفت شيئا فشيئا وسط السماء الفسيحة.

احست "تينا" فجاة بانها وحيدة رغم وجود رفيقها. واحست بانها ضائعة. لقد كانت الاشجار هي رفيقتها الوحيدة، ولا يوجد نفس بشرية تعيش حتى على بعد اميال حولهما. اختفى الهنديان وكانما لم يكن لهما وجود.

- سينتهي بك الامر إلى عشق السكون.

- هل تعتقد ذلك؟ اين ذهب الهنديان؟ هل يعيشان في الجوار؟

- ليس بعيدا عنا.. هناك مستوطنة هندية على بعد عشرة كيلومترات من هنا.

- أوه.. تكاد تكون جيرانا!

صحح لها معلوماتها وهو يضحك:

- ليس بالضبط. ولكن يحدث احيانا ان نستخدم بعض الرجال من قبيلتهما كادلاء. بالمناسبة هل تستطيعين السير لمدة ثلاثين كيلومترا على قدميك قبل منتصف النهار؟

- انا؟! لابد انك تمزح.

- إطلاقا.

ثلاثون كيلومترا! إنها لا شيء بالنسبة لامراة رياضية مثلي!

بدا الطريق وخلال بضع ساعات قليلة احست "نينا" انها قطعت اكثر من اربعين كيلومترا. اخذت تجر قدميها وراء "ماتيو" مثقلة بحملها وكانها فيل يتابع غزالا. انهارت على الارض بجوار البحيرة التي وصلا إليها دون أن تتخلص من حمولتها. سالته لاهثة:

- هل وصلنا؟

- ليس بعد.. إننا سنصل إلى مخيمنا في منتصف ما بعد الظهر.

- هل تقصد اننا سنستانف السير؟

- نعم بعد الغداء.

حاولت ان تخفي خيبتها.. كان الغداء مكونا من حساء لحم البقر، وخبز مغطى بطبقة من الجبن. وبضع برتقالات لمنحها بعض فيتامين "C". لم تشك لحظة واحدة

- هل يمكن ان تمنحني عشر دقائق زيادة؟

- اعتقد ان هذا إجباري وإلا اصبحت لا تصلحين لشيء. ثم ما رايك لو نصبنا الخيمة هنا؟

- ونتاخر يوما؟!

- أوه!

تلعثمت وقد احست بغصة في حلقها:

- ولكني وعدتك الا أؤخرك. وماذا لو كان هناك من يتعقبنا؟

- هذه مخاطرة قد نركبها.

- وهل المكان بعيد؟

- لا يزال امامنا حوالي عشرة كيلومترات.. هل تعتقدين انك تستطيعين مواصلة السير؟ ولكنه علينا ان نسرع وإلا لما تمكنا من اللحاق بالقارب الهندي.

قفزت واخذت تتلفت حولها بحثا عن القارب الهندي:

- رائع! اين هو؟

- إنه في انتظارنا على بعد مسافة. لقد أعده لنا أصدقاؤنا وجهزوه بالمواد اللازمة لمواصلة ابحاثنا.

امام هذه الكلمات فتحت "نينا" عينيها على اتساعهما مذهولة

- هل لك أصدقاء هنا؟

- نعم بعضهم.

- هل هم هنود مثل الهنديين اللذين صحبانا في الطائرة؟ هل فهمت ماذا كانا يقولان؟

- إنني اتحدث بعض "الاوجيبوا" لغة قبيلتهما.

قالت تحاول معاكسته وإغاظته:

- انا لا اعرف كلمة واحدة، وارجو الا يحنقا علي لانني لا اتحدث لغتهما. هل ستقدمني لهما في يوم من الايام؟

- ربما يا "نينا".

- "ماتيو"، ماذا هناك؟

كان قد امسك بذراعها بقوة مما جعلها تفزع.

- خبريني انك لن تندمي على الحضور.

قالت له بعد لحظة تردد:

- انا لا اندم ابدا على الحضور.. وانت؟

- كيف يمكنني ان اندم يا "نينا"؟ احيانا اخشى فقدك. تعالي! لقد حان وقت استئناف السير إذا اردنا ركوب القارب قبل هبوط الظلام.

عندما وصلا إلى مكان القارب أخرجه من بين اعواد القاب ووضعا فيه حقيبتي الظهر وكذلك كل المواد الإضافية التي اعدها أصدقاؤه له. تساءلت "نينا" لماذا يثق في الهنود بدلا منها؟ ولماذا تريد في تقديمها لهم؟

ولكنها فضلت ان تؤجل ذلك إلى يوم تعرف فيه الحقيقة.

بعد ذلك علمها "ماتيو" كيف تجدف. بدا الامر لها سهلا ولكنها عندما

انتقلت إلى المرحلة العملية كان الأمر صعبا، ولكنها بذلت اقصى ما في طاقتها. أخذ القارب الهندي المعروف باسم "الكانو" يسير في حركة زجزاج في كل اتجاه. صاح فيها:

- كفي عن القلقلة بهذه الطريقة. قبل كل شيء لابد أن تحسي بالراحة في المكان: فحاولي أن تسترخي قليلا قبل أن نبدأ التجديف.

تبعت نصيحته في طاعة. أخذت تتامل المنظر الطبيعي، وتأخذ انفاسا عميقة من الهواء الطلق. اضاءت أشعة الشمس جذوع الأشجار. أخذت تنصت إلى السكون وهي تحس بالحياة الطبيعية، وبخبطات الأمواج على جانبي القارب، وطنين الحشرات فوق راسها، وصفير الرياح وهي تتخلل الأشجار. قالت في حماس:

- إنها مناظر جميلة جدا!

- أترين! إنك ستحبين المخيم. إنني اقضي فيه فصول الصيف.

بعد ذلك أخذ يجدف في صمت و"نينا" تستمع إلى صوت المجدافين الرتيب، ثم أخذت المجداف وبدأت تحذو حذوه. انزلق القارب فوق الماء في سهولة. صاحت بلهجة انتصار:

- لقد نجحت!

اعترف "ماتيو" وهو يضحك:

- هذا صحيح. ورائع! والآن عليك أن تسترخي ولن تشعري باي الم في التجديف.

بدأت تجدف إلى المخيم. ترك "ماتيو" القارب أولا ثم ساعدها على النزول منه. قال لها وهو يمسك بيدها:

- يجب أن تسرعي. أولا: ساريك بسرعة الجوار قبل أن يهبط الظلام إننا نستخدم مياه النهر في الشرب وإعداد الطعام والاغتسال وبالنسبة للعشاء هذا المساء إذا كان الصيد جيدا فسيكون لدينا اسماك. والآن اتبعيني!

تبعته وشقت طريقها بين أغصان الأشجار والغاب. ذهبا أولا لإحضار السمك من الشبكة المنصوبة في النهر. ثم في طريق العودة وقف "ماتيو" فجاة امامها. صاحت وهي مرعوبة وسط العتمة:

- ماذا حدث؟

- انظري هناك!

- ماذا هناك؟ إنني لا أرى شيئا.

- هناك عش وسط العشب. هل ترين؟ إنها طيور البجع الكندي العملاق. إنها تبني دائما اعشاشها عند أقدام الأشجار، والأنثى تغيب عاليا في الليل للتحق بالذكر. تعالي نقترب ونلقي نظرة على البيض.

تسللا في سكون حتى العش. كان به خمس بيضات كروية ضخمة. ولامعة وسط الظلام وبعيدا عنه وقف طائران كبيران بلون رمادي ولون الرقبة ابيض ثم انزلقا في رشاقة ودون صوت فوق سطح الماء. اقترب الطائران نحوهما ثم اندفع الذكر وهو يرفرف بجناحيه ويطلق صيحات رهيبة. استعدت "نينا" لتولي الأدبار وقد أصابها الهلع. ولكن "ماتيو" أمسك بذراعها وقال مطمئنا:

- لا تخافي. إنهما سيتعودان علينا. إن البجع الكندي مثل البط يالف البشر.

أخذت الشمس تغيب فوق رأسيهما فقال لها:

- هيا بنا إلى المخيم.

عندما وصلا المخيم بدأ "ماتيو" العمل على الفور. بدأ بنصب الخيمة ووضع جوال النوم الخاص به ثم اعد ايضا العشاء. وعندما القى نظرة على رفيقته كانت تحاول جاهدة التعامل مع حقيبة ظهرها وجوال النوم.

- إنني لا أستطيع أن افتحه!

- هاته وساتولاه انا.

أخذ يحاول فتح جوال النوم مرة بعد أخرى دون جدوى، ثم لجأ إلى استخدام مدية ولكن بلا نتيجة. قال في ضيق:

- إذا كان شقيقك قد افسد كل المستلزمات والتموين بهذه الطريقة فإننا سنكون في مأزق حقيقي.

- ما الذي فعله ايضا؟

- لابد انه وضع صمغا داخل الخياطة.

- لا تقلق.. صحيح ان "روسيل" يحب المقالب ولكنها دائما ما تكون غير خطيرة.

- مع جوال النوم.. ! الا تجدين ذلك خطيرا؟!

الفصل السابع

بعد العشاء ظلت "نينا" بجوار "ماتيو" رغم تعبها. جلست في ركن بجوار النار وهي تحتسي الشاي وتغني معه الحانا شعبية قديمة. إنها تحس بالراحة. إنها ليست على استعداد -الآن- أن تستبدل مكانها هنا بأي مكان آخر في العالم. ولأول مرة تستطيع أن تتأمل وجه "ماتيو" على راحتها على ضوء النيران.

سألته وهي تقترب منه:

- من علمك أن تعزف الطبيعة بهذا الإتقان يا "ماتيو"؟

- أمي.

- أمك؟! ولكن كيف؟

لاحظت تلك الحالة من القلق التي شاهدتها عليه من قبل. تساءلت لماذا هو متوتر هكذا عندما يتحدث عن ماضيه؟

- خبرني كيف علمتك أمك يا "ماتيو" من فضلك.

أجاب بعد فترة صمت طويلة

- لقد كانت معلمة في مستوطنة هنود حمر. وكنت انا واخي نعيش هناك في المستوطنة معها.

- في ذلك المكان من "كندا" الذي حدثتني عنه؟

- نعم.

- انت لم تخبرني انك عشت مع الهنود الحمر. إن هذا كان سيساعدني - دون شك - لفهم عواطفك نحو اهل المدينة. متى ستكف عن معاملتي كدمية؟ انا امراة فلاتنس ذلك.

- إنني لا امزح يا "نينا".

- اعرف ذلك. ولكني لا اريد ان يصبح ماضيك حاجزا بيننا. إذا كان هناك سبب لصمتك فانا على استعداد للانتظار. ولكن يجب ان تثق بي.

تردد "ماتيو" قبل ان يستانف حديثه

- إنني لا ارغب في ان ازعجك بمشاكلي بعد يوم شاق كهذا. انت لا تستحقين ان ازعجك.

- إنني احس بالتحسن.

- حقا؟ إذن هيا بنا للنام.

انحشرت "نينا" في جوال النوم الخاص بها وهي تستمع إلى اصوات الليل. كان "ماتيو" لا يزال بالخارج. كان يحاول ان يعيد بعض النظام حول المخيم

كانت عيناها مفتوحتين على اخرهما وهي تنتظر عودته. وعندما اقترب -اخيرا- من الخيمة احست بان قلبها سيقفز من صدرها. سالها:

- هل احسست بالخوف؟ أو بالبرد؟

هزت راسها نفيا وهي غير قادرة على الكلام من الانفعال. تحركت

داخل جوالها وفجاة احست بشد عضلي فصرخت.

- ماذا هناك؟

- إنه شد عضلي عند عقبي. ولكن لا تقلق فسيزول

- أرينى!

اخذ يدلك عقبها بمهارة ورقة وقال معلقا:

- انت رقيقة مثل العصفور. هل تحسين بالتحسن؟

- نعم. إن الحالة أحسن.

- اتعرفين انك اجمل امراة رايتها في حياتي. انا احبك!

- "ماتيو"!

كانت الأيام التالية حلوة ومشمسة وزاد من جمالها ان "نينا" اصبحت واثقة من حب "ماتيو" لها. وكانت تصحو كل صباح والسعادة تغمرها. ورغم العمل فقد كانت تتبعه كظله في كل مكان. حتى كانت تساعده احيانا في حفر شقوق بطول الخطوط التي كان يحددها بالجير. ولم تكن تشكو ابدا. وهي تامل ان الحاجز بينهما سيختفي يوما ما

وتعلمت ايضا عمليات التنقيب وغسيل تراب الذهب إلى ان تظهر ذرات الذهب الدقيقة اللامعة في المنخل

ورغم ان الذرات كانت اصغر من المطلوب فضلا ان معظمها لم يكن ذهبا إلا انها - مع ذلك - تابعت ايحائها بجوار "ماتيو" انتظارا للخبطة الكبرى. كانت "نينا" متلهفة على النجاح. سالت "ماتيو" وهي تريه اكياسا مليئة:

- الا تظن انه يجب ان نرسلها للاختبار؟

- سانهب إلى المدينة قريبا وساتولى ذلك.

- وانا؟ هل ستتركني هنا؟

- يوم راحة سيفيدك كثيرا.

- إنني أفضل الذهاب معك لاقابل أصدقاءك.

- سأحضر لك تذكارا.

وافقت دون اعتراض وهي مستمرة في التساؤل عن أسباب رفضه. وعند عودته قدم لها حذاء من نوع الموكاسان الهندي لم تخلعه من قدميها أبداً، كما صنع لها مزمارا احتفظت به في جيبها لتعزف عليه أوقات الراحة.

في نهاية شهر يونيو عاد "ماتيو" مرة ثانية إلى المدينة أيضا بمفرده. واحضر -هذه المرة- قشور شجر الصندل الذي يستخدمه الهنود بخورا، وأراها كيف تستخدمه. لقد حققت "نينا" الكثير من التقدم في الحياة مع الطبيعة، ولكنها لم تكف عن التفكير في رحلات "ماتيو" بمفرده إلى المدينة. لماذا لا يصحبها؟ ما الذي يخفيه؟

كان رحيله الثالث للمدينة في يوليو وهذه المرة عاد متأخرا جدا عن العادة. كانت قلقة ونافدة الصبر؛ فذهبت لتجلس على ضفة البحيرة تنتظر عودته. وعندما ظهر قارب "ماتيو" -أخيرا- جرت للقائه.

صاحت وهي تلوح له بيديها:

- هأنت قد وصلت أخيرا! لقد بدت الساعات طويلة جدا بالنسبة لي!

- هل تشعرين بالحنين إلى الحضارة؟

- فقط عندما لا تكون هنا.

أخذا يتأملان الطبيعة في إعجاب: كانت السماء صافية الزرقة، والماء صافيا ونقيا تحت أقدامهما. ورغم كل هذا الجمال فإن هذا الديكور كان ناقصا في نظرها.

- هكذا ترى أنني أحتاج إلى وجودك حتى أشعر بالسعادة هنا. بدونك يصبح العالم غريبا علي.

- إنها غلطتي.

- لا يا "ماتيو" ليس الأمر كذلك.

- أنا أحبك يا "نينا" فلا تنسي هذا.

- حتى بعد أن تذهب؟

- أحبك.. مهما فعلت أو أينما ذهبت!

سارع بتفريغ حمولة المركب قبل أن يسود الظلام الدامس وساعدته "نينا" في ذلك. قال:

- خذي.. هذه مفاجأة أخرى لك.

لم تطق صبرا ومزقت الورق الذي كان ملفوفا حول الصندوق. ظهر غطاء ضخم من الفرو الأبيض المبرقش باللون الرصاصي. صاحت:

- أوه يا "ماتيو" إنه ناعم كالحرير!

- لقد أحضرته من قبيلة "أوجيبوا". إن هؤلاء الهنود لديهم طريقة خاصة في معالجة الجلود. فبعد دباغتها وقتا طويلا، يجدلون الشعر بطريقة تجعله ناعما كالحرير من الجهتين. هذا الغطاء مثلا مصنوع من فرو الأرانب.

كانت سعيدة جدا ولا تعرف كيف تعبر له عن سعادتها، ولكن في طريق العودة بدت تساورها الشكوك بلا فائدة: لماذا لا يريد أن تصحبه؟ ما الذي يحاول أن يخفيه عنها؟

بعد أسابيع أعدت أكياساً عديدة من العينات لنقلها للاختبارات في المدينة. هذه المرة قررت "نينا" مصاحبة "ماتيو" مهما حدث.

وفي اليوم الذي أعدت فيه آخر كيس كان الجو صحو ومثاليا لمباراة في البيسبول. قررت "نينا" أن تقاطع "ماتيو" وسط رسوماته وأرقامه وحساباته. قالت وهي تلوح بقفازها:

- هل تلعب بورا؟

- نعم.. أنا حاضر.

أمسكت المضرب في يدها وهي نافدة الصبر.

مرت دقائق طويلة ولكن "ماتيو" ظل غارقا في ملفاته.

سألته في قلق:

- هل هناك شيء مقلق؟

مرر اصابعه في شعره وقد بدت عليه الجدية

- لدي مشكلة في الحسابات.

- ماذا هناك؟ هل هي غير مضبوطة؟

- بالعكس إنها ممتازة أكثر مما اظن وبهذا المعدل ستستشيط عمتك غيظا مني!

- رائع! إننا لم نسمع اخبارا عن العمة "اويل". وإنني اتساءل ما الذي حدث ليمنعها من إظهار براعتها في النكد؟

- إنني سأحس بالراحة تماما عندما اضع يدي على العرق الأساسي.

- لا تقلق فستعثر عليه. وستصبح اغنياء ومشهورين والجميع سيتحدث عنا!

قال في تردد:

- اتظنين هذا؟

- انا متأكدة! وستقام الاحتفالات من "فانكوفر" إلى "شيكاغو".

- سنعرف ذلك غدا.

قالت وهي تحاول أن تبدو طبيعية:

- هل تعرف.. افكر في انني استطيع أن اصحبك هذه المرة.

- غدا؟!

- نعم. ولم لا؟ إن كل الهدايا التي احضرتها لي جعلتني اتلهف على معرفة ذلك الفردوس. فضلا عن انه إذا سارت أعمالنا بنجاح يمكنني ان ابدأ مشروع إنتاج الأغطية من الفرو. وأعرف العديد من الحوانيت سيسعدها.

قاطعها بخشونة:

- إنها بلدة صغيرة جدا بلا اهمية. وستصابين بالخيبة.

- ومع ذلك انت تحبها وتقدرها.

- ليس الأمر كذلك بالنسبة لي. فقد سبق ان عشت في مستوطنة.

- إذن ستجعلني أزور المكان.

- هل انت متمسكة هكذا بمصاحبتي؟

- انا اتوسل إليك.. إنني اتساءل: لماذا ترفض ان تصحبني.. هل انت مثلا تشعر بالخجل مني؟

- ما الذي تقولينه؟

- نعم.. ربما لا تريد مني ان اقابل اصدقاءك؟ فانا على اية حال فتاة من "شيكاغو".

- كيف يمكنك ان تتخيلي شيئا كهذا يا "نينا"؟ إنني لم اكن اتصور ابدا ان تشعري بانك..

- مرفوضة. مثلما انت تحس بانك مرفوض.

- ارجوك.. ان تسامحيني! إنني ادركت انني احيانا اجعلك تعانين.

- إذن ستصحبني معك؟

قبل وابتسامة تعلو شفتيه:

- هذا وعد. على اية حال انت تعلمين انني اكره ان ارحل بدونك.

كان "ماتيو" على حق. فقد كانت المدينة ابعد ما تكون عن الفردوس. كانت المباني -شبه المهدمة- مرصوصة على طول الشارع الرئيسي. ولا يوجد حانوت واحد ولا لافتة مضيئة تشيع بعض البهجة على واجهات المباني. ولكن "ماتيو" كان يعثر فيها على هدايا رائعة.. ولكن من اين؟ إنه سر قررت "نينا" ان تزيح عنه الستار.

وعلى مكتب البريد وجدا علما سهلها يرفرف فوق الباب. دخلا مكتب البريد لتسلم التموين الذي أرسله "روسيل". اشرق وجه "نينا"

عندما شاهدت طرد البريد.

اخذ "ماتيو" يملأ حقيبته بينما جلست "نينا" على الدرج تقرأ العديد من الخطابات. كانت منهمكة في القراءة واحست بان عيون المارة تستقر عليها، ولكنها لم تهتم. ربما كانوا يعرفون "ماتيو"؟

ولكنها لم تحاول ان تفكر في ذلك. مرة واحدة رفعت راسها لتبتسم لصبي صغير يرتدي "تي-شيرت" عليه صورة كرة بيسبول. كان واقفا على بعد خطوات منها ولم يرفع عينيه عنها. علق "ماتيو" عندما جاء لينضم إليها:

- ارى انك قد اكتسبت لك صديقا.

- إنه من هواة البيسبول بجنون مثلي.

- انا اعرف جيدا والده. وكنا نلعب معا في وقت الصبا. اليس كذلك يا "جيمي"؟

وافق الصبي براسه ببساطة. ابتسمت له "نينا" ثم التفتت إلى "ماتيو".

- لدي خطابان واحد من العمة "اويل" والاخر من "ليبرتي". وهذان الاخران كما ترى اعتقد انهما من "كوكي" و"تشوجار". والاخير من "روسيل".

- لابد انه وافق على التقارير.

- بدون شك. وإلا لما كلف نفسه عناء طباعة اسم "مناجم هوليداي" على أوراقه.

عندما رات نظراته القاسية فضلت تغيير الموضوع.

- لدي ايضا اخبار حسنة من "ليبرتي". إن "بليك" يعد ملفا عن "ما وراء الحضارة الكندية". وسيحضران إلى المنطقة من أجل إعداد مقالة مصورة. ويحبان ان ينتهزا الفرصة لمقابلاتنا.

- عليهما ان يحددا موعدا وسنذهب للقائهما.

- إنني في هذا المظهر أبدو مثل فتاة هجين، ولن يستطيعا ابدا التعرف علي.

- ربما. ولكنك لن تكوني ابدا هجينا.

قالت "نينا" وهي تحشو حقيبتها بصعوبة:

- هل علي ان افرح من هذا الكلام ام احزن؟ إنني على استعداد لاتبعه عندما استطيع النهوض بهذه الحمولة! ولكن لدي إحساسا انك سننتهي من جولة المدينة حيث لا يوجد بها ما يستحق المشاهدة. ما الذي كنت تفعله إذن في زياراتك السابقة يجعلك تتغيب كل تلك الأوقات؟

تجاهل "ماتيو" سؤالها وقال:

- لا تتحركي من مكانك وساعود إليك خلال ساعة.

لم تكن تتمنى احسن من ذلك. ان تظل جالسة على درجات مكتب البريد.. ولكن ان تدع "ماتيو" يرحل بمفرده فهو امر مستحيل وغير قابل للنقاش.

- ساعدني على النهوض وساتبعك.

- سأذهب إلى اجتماع المجلس وهو لن يهمك، وستنخرط في الأعمال.

- ما هو بالضبط هذا المجلس؟ واي نوع من الأعمال؟

ترد "ماتيو" في الرد مرة ثانية:

- في إدارة شؤون الهنود. نناقش كل مشاكل القبيلة في مجلس يحضره فقط الممثلون المنتخبون من القبيلة. واليوم سيناقش المجلس حقوق المناجم.

صاحت "نينا" وقد فغرت فمها:

- ولم تقل عنه شيئا لي؟

- إنها ستكون مناقشات فلسفية بلا اهمية. صدقيني

– انا لا أوافق! سأنتهز الفرصة لأزيد من معلوماتي الضئيلة حول الهنود.

لم تزد كلمة ونهضت بمفردها لتتبعه. بعد خطوات اضطرت للتوقف حتى تسترد انفاسها اللاهثة. كان الصبي الصغير لايزال موجودا والجدية على وجهه.

سألته قبل أن تستانف مسيرتها:

– هل انت قاذف رماح مثل أبيك؟

أجاب الصبي:

– لا.. انا افضل المطرقة.

– هذا رائع! انا كذلك افضل المطرقة. هل تعتقد أن والدك يقبل ان يلعب مباراة معي في يوم ما؟

– ربما.. إنه يلعب كل عام في احتفالات "بادواو".

– رائع! إذن سأراك هناك بالتأكيد. لقد كشفت لي عن بعض الخبايا. اتعلم.. إن هذه المدينة لا تخلو من بعض المباهج والمتع رغم مظهرها.

جرت حتى تلحق بـ"ماتيو" الذي تقدمها بمسافة.

– اسمعني يا "نينا": إن اجتماعات المجلس ليست مفتوحة للجمهور.

– انا لا اتحدث عن الاجتماعات وإنما عن البيسبول. متى موعد أعياد "البادواو" الشهيرة؟

– في نهاية شهر اغسطس.

– ممتاز! إليك هذا الاتفاق الذي اعرضه عليك:

انت تصحبني إلى الصيد وانا انسى موضوع الاجتماع. ما إن تقدمني إلى أصدقائك حتى انسلل بعدها وانتظرك في الخارج.

كان الاجتماع يعقد في فناء إحدى المدارس. وكان نواب المجلس الستة جالسين حول مائدة طويلة -من الخشب- على مقاعد من النوع المطوي الذي يستخدم في المخيمات. كانوا باكمام قمصانهم المشمرة.

والنظارات على عيونهم. والسجائر في أفواههم يبدون مثل عمال بسطاء او اعضاء نقابة ما.

قام "ماتيو" بعملية التعارف حيث قدمها إلى "هنري كنج بيرد" و"فرنون فرنش" و"دان رووس" و"أوجين ستلداي" و"جوردون موريسي" و"جيري بيرنيز".

حاولت "نينا" أن تسجل الأسماء المختلفة. ثم اخذت تحدق -بإمعان- في كل وجه على حدة. وعندما مدت يدها لتصافحهم لم يتحرك أي منهم. ورغم ملابسها ومظهرها العجيب الذي يظهرها كفتاة مخلطة إلا انها احست انها لا تنتمي لهذا العالم. وفهمت كذلك ما احسه "ماتيو" عندما قابل أسرتها. ومع ذلك حاولت الا تنهزم. قالت وهي تحاول الابتسام:

– اتشرف أن يسعدني الحظ بحضور أعيادكم "البادواو".

عند هذه الكلمات تولى أحدهم -وهو "كنجبيرد"- الحديث:

– إن الـ"البادواو" هي مثل احتفالاتكم الدينية، والروحية المقدسة. ولكنها على عكس احتفالاتكم فإن السياح لا يسمح لهم بحضورها.

تركها ردة هذا خرساء وتابع هو حديثه:

– إن الذهب يجعل الرجال البيض مجانين. وهو ليس خيرا لنا نحن الهنود.

هذه المرة اختفت ابتسامة "نينا" تماما وقالت:

– اعتقد أن هذا الموضوع هو الذي ستناقشونه في اجتماعكم اليوم. ولا أريد أن أعطلكم أكثر من هذا.

القت نظرة سريعة على "ماتيو" وخرجت في الحال. ما إن أصبحت في الخارج حتى تخلصت من حقيبة الظهر قبل ان تنهار على العشب تحت نافذة الفناء المفتوحة. وصل إلى أسماعها من الداخل أصوات الرجال الستة وصوت "ماتيو" العميق.

استمعت إلى محادثتهم، ولكن دون فائدة؛ لأنهم كانوا يتحدثون بلغة "أوجيبوا". أحست وهي قريبة منه جدا أنها بعيدة عنه جدا.

ماذا كانت تتوقع إذن؟ أن يستقبلوها بالزرع مفتوحة لأنها من عائلة "هوليداي"؟ أخذت الأسئلة تتصارع الواحد بعد الآخر داخل ذهنها.

أحست بالرعب وهي تتوقع أسوأ النتائج.

ثم قررت أن تهدأ. أخرجت من جيبها الخطاب الخاص بالعمة "أويل" وبدأت تقرؤه. جذب انتباهها بعض كلمات مثل: الوباء وإدمان الكحول. صاح أحد الرجال الستة بصوت مجلجل:

- إن المناجم ستكون خرابا وضياعا لأراضينا.

زمجر شخص آخر:

- اسمع يا "هنري": لا يمكن أن نستمر هكذا!

- إن المعادن هي مواردنا الوحيدة وإذا لم نتصرف بسرعة فإن كل الاحتياطي سيضيع على المجاعة والكحول.

- أعتقد أننا هنا لنتحدث في الذهب؟

- هذا صحيح يا "ماتيو". أرنا الخرائط إذن.

بدا "ماتيو" الحديث بصوت مرتجف بعض الشيء:

- حسنا.. يجب أن أعيد حساباتي مرة ثانية؛ حتى أتمكن من وضع يدي على العرق الرئيسي. حاليا فإن معظم المنجم يقع في الشرق والشمال المخيمي، وليس على الغرب من ناحية المستوطنة. وهذا يعني أنه لن تكون هناك أعمال تنقيب في تلك الناحية. ولكن قيمة المعادن المستخرجة قد تدفع المستثمرين إلى مد أبحاثهم. ولذلك أحضرت لكم هذه الخرائط لتروا أين هي حساباتي.

سمعت "نينا" صوت حفيف أوراق وسط همهمات الرجال. لو نجح "ماتيو" في إقناع المجلس بأن المستوطنة لا تتعرض لأي خطر فإن المشروع يصبح ناجحا. لم تعد قادرة على متابعة الحديث فعادت إلى

خطاب العمة "أويل":

"يا عزيزتي "نينا"..

"لا يمكن أن تتصوري مدى قلقنا عندما تلقينا بقية امتعتك. وعندما علمنا عن طريق "روسيل" أنه تعمد إفساد سوستة جوال النوم. يجب أن تحرصي على ألا تصابي بالبرد ولا تنسي نصيحتي. وتناولي منقوعا من الأعشاب قبل النوم ليحميك من البرد. وليساعدك أيضا على النعاس إذا ما عانيت من الأرق. لقد طلبت من "روسيل" أن يرسل إليك بعض المشروبات المقوية. ولكن لا تدعيها تقع في أيدي الهنود. فلست نعرف النتيجة.

وبمرور الوقت اتعشم أن تعرفي المزيد عن ماضي "ماتيو". ولكن تذكري يا عزيزتي: لا توجد قواعد في الأعمال فكل عمل له قوانينه. وأنا واثقة أنه هو لن ينسى ذلك أيضا.."

انتزعها صوت "ماتيو" من قراءتها وهو يقول:

- اسمع يا "هنري".. إن القبيلة لا يمكن أن تظل تعيش للأبد في الماضي! إن التقاليد شيء جميل ولكنها لا تساعد دائما في تقدم الناس.

قال الرجل العجوز "هنري" في إصرار:

- إن الأرض جزء من جسدنا ونحن ننتمي إلى الأرض. ولكننا لا نمتلكها. كيف تريد إذن أن نبيعها أو أن نهبها؟

- إن الأرض في تلك المنطقة لن تمس ولك كلمتي!

- ولكن كيف سنمنع الرجل الأبيض من الحفر عندما يعلم أن هناك ذهبا؟

قال رجل آخر:

- أو يخرق القانون؟

رد الرجل العجوز:

- دعه يتكلم. إننا نثق في كلامه.

حبست "نينا" انفاسها وهي تشعر بالحيرة. ترددت "ماتيو" طويلا وعندما اجاب اخيرا كان يتكلم بلغة "الاوجيبوا". ما الذي يخفيه عنها؟ ظلت ثابتة تحت النافذة واستانفت قراءة الخطاب:

"... في ذلك اليوم قابل عمك بالمصادفة واحدا من اصدقائه يقوم بالتدريس في نفس الجامعة التي يحاضر فيها "ماتيو". طبعا استفاد من هذه الفرصة ليستعلم عنه. وعرف أن "ماتيو" يشترك بفاعلية في ممارسات جماعة من المناضلين الهنود تسمى "حركة الهنود الامريكيين". نحن نطمئن إلى حسن حكمك على الامور. ولكن انتبهي وافتحي عينيك لاننا على اية حال استثمرنا مبالغ طائلة منذ الوقت الذي انت فيه هناك لابد أن لونك اصبح برونزيا. ذلك اللون الذي يناسب جدا الشقراوات. وبهذه المناسبة تذكرت أن "ماتيو" هو نفسه برونزي البشرة ايضا.

عمتك التي تحبك: "اويل".

تضايقت "نينا" من تعليقات عمتها غير السارة فكورت الورقة والقت بها بعيدا على الارض. ما الذي تلمح إليه؟ من يسمعها يظن أن "ماتيو" سيسلخ رؤوس اسرتها بمديته الـ"توما هوك". وما الذي يعتبون عليه إذا كان يساعد الهنود؟ إنهم -اي الهنود- في حاجة لهذا المنجم اكثر من اي شخص اخر. إن هذه المدينة العارية المحرومة هي الدليل على مدى بؤسهم وفقرهم.

ازاحت هبة ريح كرة الورق فاسرعت وراءها لتلتقطها. لا جدوى من ترك هذا الخطاب يقع في يد اي شخص. ثم فجاة اجتاحتها هي ايضا الشكوك. الم يقل لها "ماتيو" بنفسه إنه يخفي عنها شيئا؟ ولكن ما هو؟. فور انتهاء الاجتماع جرت لتقابله.

- كيف سارت الامور إذن؟

اجاب بانقضاب:

- لا باس.

- اراهن انك نجحت في إقناعهم. إن المنجم يمثل عملا للجميع.

استدار نحوها وقد قست ملامح وجهه.

- إن خراب غابة ليس عملا بالنسبة للهنود يا "نينا".

- حتى لولم يشتركوا فيه يستطيعون أن يستفيدوا من مزايا المنجم وارباحه من اجل مدينتهم. سيخلق كل انواع الوظائف.

- إنهم لا يفهمون ذلك جيدا.

- ولكن اليس هذا ما يريدونه؟

- لا.

- وانت؟

- انا... لقد قدمت لهم حالتنا.

- حالتنا؟ ما الذي قلته لهم ولا تريدني أن أعرفه؟

- ارجوك يا "نينا" ثقي في.

لم تسمع كلامه. حدقته دون انتظار عن خطاب العمة "اويل" والمعلومات التي حصلت عليها من زميله حول المنظمة الهنية واشتراكه فيها. صاحت وهي ترتجف:

- لماذا لم تخبرني؟ لماذا لا تثق في؟

- انا اثق فيك يا "نينا". ولكن هناك اموراً لا اريد أن اشركك فيها. وليست في سلطتي.

- إذن انا لا قيمة لي؟ إن "هنري كينج بيرد" لم يعن حتى بمعرفتي. انا ولا نياتي. إنه لا يريد سوى شيء واحد: أن اختفي.

- كنت افضل ان تقابليه في ظروف مختلفة.

- حتى اسرتي لم تكن قاسية معك هكذا.

- المال يسهل اموراً كثيرة يا "نينا".

- لقد قالت لك ما هو رأيها تماما في موضوعك

قال بهدوء:

- و"هنري" أيضا قال رأيه في موضوعي تماما.

- إذن ألا يبقى أمامنا سوى أن نفترق؟

- هذا يعتمد.. علي وعليك يا "نينا".

الفصل الثامن

www.rewity.com
Hindoda

خلال الأسابيع الأخيرة بدا كل من "ماتيو" و"نينا" يتعرف كل منهما على الآخر في هدوء. ولكن بعد اجتماع المجلس في المدينة بدأت هوة جديدة تظهر بينهما وتزداد اتساعا. زاد تكرار صمت "ماتيو" وهو يحاول ألا يعود للحديث عن الموضوع، وكأنه لم يكن له وجود. وكان دائما لطيفا ومهتما ومع ذلك لم يكشف لها أبدا عن أفكاره. وكانت النظرة السوداء التي رأتها في عينيه -في ذلك اليوم- لم تختف بعد. وكلما اقتربت أبحاثهما من حدود المستوطنة الهندية قل رضاه عن النتائج رغم أنها أفضل من سابقتها. كان يزداد الوقت الذي يقضيه مع خرائطه، وبدأت تخشى أنه يتوقع أن ينتهي إلى الفشل بدلا من نجاح باهر.

أخذت تشكو له في ليلة عيد "البادواو"

- ألا تعتقد أننا عملنا بما فيه الكفاية اليوم؟ إن الظلام شديد لدرجة

انني لا أرى مواطئ قدمي. وقد اضطر للاستناد عليك حتى أستطيع السير.

ابتسم في ضعف وقال:

- سيكون هذا أسوأ.

- ما رأيك لو أنني اقود الطريق وأنت تستند علي؟

- من المحتمل أن ينتهي بنا الأمر إلى أن نجد أنفسنا في "تورونتو".

- هذه على أية حال ليست فكرة سيئة. ولا تنس أنك وعدتني بشراب التفاح.

قال وقد بدت على وجهه الجدية:

- أقول لك الحق.. لو كنت أعلم لما وضعت قدمي في "تورونتو" على الإطلاق.

- ولكننا قطعنا الشوط الصعب! ولم يبق لنا إلا تسجيل امتيازاتنا في مكتب "ثاندر باي"، وهو أمر ليس بالمعقد.

- إن العمل ليس هو الذي يضايقني يا "نينا". لو سألتني اليوم ما رأيي في كل هذا التنقيب عن الذهب، وعما إذا كنت مسرورا أو غاضبا فإنني لن أعرف بماذا أجيبك.

- كيف يمكنك أن تقول هذا؟

- إنها الحقيقة يا "نينا".

- ومع ذلك فمن ثلاثة أشهر كنت تعتمد على هذا المنجم. ليس لأنه يمثل لك المال الوفير فحسب، وإنما أيضا لأنك تريد أن تثبت أنك على حق. إنني لست أفهم.

- لقد أدركت في النهاية أن الإنسان يمكن أن يغير مجرى حياته تماما. وحياة الآخرين عندما يوقع باسمه أسفل صفحة. إن مناجم "هوليداي" قد تجلب لك الكثير من المال. لكم جميعا. ولكنها ستدمر -للأبد- هذه الطبيعة الجميلة للغابة. وكل أموال العالم لا تستطيع أبدا أن تعيد لها

الحياة!

قالت برقة:

- إنه كلام "هنري كنج بيرد". أليس كذلك؟

- لست أدري. إن كل تلك التناقضات التي أحاول إخفاءها ووقفها -طوال تلك السنوات الأخيرة- تطفو فجأة على السطح. لقد أردت دائما أن أحقق التصالح في حياتي ما بين عنصرين: الماضي والحاضر. الطبيعة والتقدم. وكنت أعاني الكثير -أحيانا- من ذلك التناقض. وحتى هذا الصيف كنت مقتنعا أن هذا المنجم هو الحل لكل مشاكلي. لقد عملت إذن في "هوتون" طوال العام، وثلاثة أشهر من كل عام في الأبحاث، والتنقيب في الموقع والغابة.

- ولكنك اليوم لا توافق على ذلك. أليس كذلك؟

اعترف بابتسامة ضعيفة:

- نعم.. إن العينات لا توافق توقعاتي على الإطلاق.

- هذا أفضل إذا كانت النتائج أحسن من توقعاتك. وأن يلومك أحد على ذلك وبالأخص "روسيل".

- كم أحب أن أصدقك يا "نينا" ولكني لست متأكدا!

كان الطعام الذي يرسله لهما "روسيل" - ضمن التموين- لا يخلو من المفاجآت التي اشتهر بها. وكان طعام اليوم حسب الجدول -الذي أعداه على أساس التموين- نوعا من العصيدة. ظنا أنها كريمة الجمبري أو الدجاج. ولكن اتضح بعد ذلك أنها عصيدة "التابيوكا" التي كانت "نينا" تكرهها بشدة، وتبين أن "ماتيو" يكرهها هو الآخر. صاحت في غضب وهي تلقي بمحتويات الطبق:

- إن "روسيل" يعلم جيدا أنني أكرهها. عندما أضع يدي عليه سيعرف على أي نار سأشويه.

- لا تكوني قاسية عليه.. إنني أعتبره لطيفا. ثم إنه أول من وثق بنا

قبل حتى أن نبدأ العمل.

- إن لدي إحساسا يا "ماتيو" اننا لا نزال بعيدين كل منا عن الآخر.

- لا تقولي هذا يا "تينا".

- هناك امور جمة لم نطرقها ابدا معا.. امور يجب علينا أن نكون قادرين على الحديث عنها دون اي حرج او تردد. انت لم تحدثني ابدا عن اخيك ولا عن امك. ولم تكلمني بعد عن سبب ارتباطك بهذه المدينة ولا هذا المكان.. لايزال بيننا الكثير من الاسرار.. هل تفهمني يا "ماتيو"؟ إنني اعتقد انه في اليوم الذي ستصبح قادرا على البوح لي بمكنونات قلبك ساستطيع وقتها أن اوليك ثقتي.

صمت طويلا وقد التمعت عيناه.

- لقد فهمت ما تريدين أن تقوليه. لابد أن اشاركك في كل حياتي.. وهذا ما اريده انا ايضا.. ولنقل احسن إنني كنت اريد ذلك لو استطعت ان اتحدث عن بعض الحقائق منذ لقائنا الاول.

- ولكن ما الذي ننتظره إذن لنفعل؟

قال وهو يلوح بذراعه:

- إن الامر اصبح الآن معقداً للغاية؛ ولو افصحت لك عن كل شيء اليوم فإنني اخاطر بان اجعلك تتعذبين. انت وكذلك آخرون.

- لو عرفت ما هو الامر لساعدتك.

- لا يجب أن تضطري لأن تتحملي متاعبي.

- ولكن كيف يمكننا ان نحقق الثقة فيما بيننا وانت لا تكف عن رفضي؟ وإذا لم نكف عن إقامة الحواجز الوهمية فيما بيننا..

- إنها ليست وهمية يا "تينا".. إنها حقيقية تماما.

- ليست بالنسبة لي.

- الانني لا استطيع الحديث عنها معك؟

- ولماذا لا تفعل إذن؟

- أخشى أن يكون الوقت قد فات. انا احبك يا "تينا" وانا واثق من ذلك. ولكني كثيرا ما كنت أخاف من أن افقدك.

حلمت "تينا" في تلك الليلة حلما غريبا. انها في فندق "روسيل" وداخل المصعد المحمل بزجاجات من النبيذ لتدفع فدية "ماتيو" المتورط في مؤامرة تنفذها "مافيا" "شيكاغو"، وفريق "بيسبول"، وهنود هوليوود. وعندما نجحت اخيرا في تسليم الذهب غرقت كل المجموعة في عاصفة على المحيط بينما نجت هي و"ماتيو"، وهبطا بواسطة باراشوت مصنوع من فرو الأرانب. استيقظت "تينا" وهي متأثرة بهذه النهاية السعيدة، وقررت أن تتفاءل لمستقبلها. كان الجو في ذلك اليوم رائعا، والشمس ساطعة، والسماء صافية الزرقة.. جو مثالي للعب "البيسبول" والاحتفال. كان "ماتيو" مستندا على صخرة يراقبها بينما هي تعمل بنشاط حول المخيم. كانت تسأله كل ربع ساعة:

- متى سنرحل؟

- حالا.

- متى سيبدأ الرحيل؟

أجابها وهو يضحك:

- عندما يحضر كل الناس إلى هنا. هل ترين.. إن الهنود يأكلون ويعملون ويقومون بأداء كل ما يريدون في الوقت الذي يحلو لهم. إن هذا ما يسمى الحياة على الطريقة الهندية.

- اما انا فلدي رغبة -من ساعتين- للذهاب للاحتفال بالعيد؛ إنني لا استطيع الانتظار.

- متلهفة على اللعب. اليس كذلك؟

- ربما أحب أن العب كرة الريشة.

- كرة الريشة؟ ولكنها لعبة البنات.

- الا تعتبرني فتاة؟ لقد بدأ الوقت يتأخر. هل تحب أن تلعب في

الليل.

- لا.. عادة ما تبدأ بالرقص. انت لم تريني بالريش.

- بالريش؟ هل تمزح؟

- ولكني لا امزح.. إن امي تهتم بالتقاليد مثلها في ذلك مثل "هنري كنج بيرد" وهي مقتنعة بان اهل "الاوجيبوا" لا يستطيعون أن يعيشوا بدونها. ولذلك بذلت كل ما في طاقتها حتى لا تختفي مع الزمن. لقد علمتني ايضا أن اعرف تلك التقاليد واحترمها. وكانت تأمل أن تبين لي اهميتها.

ادركت من تقاطيع وجهه الجادة إلى أي مدى كان من الصعب عليه الحديث عن ماضيه. ابتسمت له وهي تعترف بالمجهود الذي يبذله. سالته في رقة:

- وهل ستعلمني الرقص الهندي بالجبة الريش؟

- ماذا؟ تقصدين الرقص؟

- كل شيء.. اريد أن اتعلم كل شيء.

- لست خبيرا والعديد من هنود اليوم لا يعرفون حقا ماذا يعني "هندي".

- إذن علمني اقصى ما تستطيع من فضلك.. إنني مستعدة لأن اغير نفسي يا "ماتيو".

- اخشى أنك لن تستسيغي ما ستعرفينه.

- لا تقلق من هذه الناحية. فإنني استطيع التصرف. ولا اريد أن نفترق بسبب جهلي.

بينما يعبران البحيرة في القارب الهندي للذهاب إلى المدينة قص عليها "ماتيو" طويلا عن حياة الهنود في تلك المنطقة. وكانت "تينا" تستمع إليه مبهورة.

- في هذه الفترة كان العمل يتم بروح طيبة، ومزاج رائع. وكانت

مصالح الهنود لا تتعارض أبدا مع مصالح موجهيهم.

- ولكن ماذا جرى بعد ذلك؟

- سؤال جيد ولكن الإجابة عليه صعبة. إن الحياة نفسها تغيرت في السنوات الخمسين الماضية. ولكن هذا التغيير كان بالنسبة للهنود كارثة. وعلى سبيل المثال كانت الحكومة قد قررت تنفيذ برنامج جديد لتحسين الخدمات الطبية في المستوطنات. وبينما ممثلو الحكومة يؤسسون مكاتب خدمات طبية جديدة كانت كل البنية الثقافية للمجتمع تنهار مثل قطع الدومينو.

- ولكن هذا شيء غير منطقي!

- ذلك لانك لا تفكرين كهندية. ولم تفهم القبائل ما ينتظرها لانها كانت عاجزة على التفكير العقلي مثل رجال الإدارة البيروقراطيين أو كرجال الأعمال. لقد كان من السهل على الحكومة أن تسكن قبيلة بالقرب من طريق كبير لأن ذلك يسهل إقامة المدارس والمستشفيات والخدمات الأخرى. وبناء عليه حبسوا الرجال الذين ترعرعوا وازدهروا وسط الطبيعة في مستوطنات كالمستعمرات الصغيرة المساحة وكلها مصطنعة. عندما حرم الهنود من عاداتهم بدءوا يهلكون. وعوضتهم الحكومة عما فقدوه بتنفيذ نظام التامينات الاجتماعية، وتامين البطالة. وشيئا فشيئا علمتهم أن يفقدوا ما تبقى لديهم من كرامة وعزة نفس.

- والآن هل تأخر الوقت على التغيير؟

- نعم وقد فعلت الحكومة هذا لتستولي على اراضيهم. وهذا ما يظنه غالبيتهم. إن الريبة تجعل الناس يشعرون بالمرارة. والشباب والمراهقون يقضون نهارهم في التفكير فيما حدث لهم.

لزم "ماتيو" الصمت فترة طويلة. بدت المدينة لهما عن بعد ووصلت إلى أسماعهما أصوات الطبول المجنونة، وأزيز الدراجات البخارية

قالت له:

- ليس المفروض عليك أن تحل مشاكلهم يا "ماتيو".

- وكيف يمكنني وأنا لا استطيع أن أحل مشاكلي. اسمعي يا "نينا": إنني لا أطلب منك أن تصدقي ما سأقوله لك الآن، ولكني أنا نفسي اصدقه. هل سمعت عن النقوش التي يرسمها الهنود على الصخور؟

هزت "نينا" راسها:

- لا.. لم اسمع عنها أبدا.

- إنها تشير -عادة- إلى اماكن محددة، أو باقة من الأشجار، أو مجموعة من الصخور، والتي لها -حسب اعتقاد الهنود- قوة سحرية خاصة جدا. ويقول الناس: إن بعض الأماكن لها اهتزازات مباركة تنبعث منها انوار معينة. وإن مثل تلك الأماكن تجلب السعد للأشخاص الذين يزورونها، وتمنحهم قوة خاصة.

تذكرت "نينا" -جيدا- ملحوظة سمعتها اثناء اجتماع المجلس.

- وهل احد تلك الأماكن موجود على المستوطنة؟

- نعم بالضبط.

- وهل سبق لك أن ذهبت إليه؟

- اكثر من مرة.

قالت برقة:

- ووعدت نفسك أن تبذل كل ما في وسعك حتى تحافظ لهم على ارضهم.

- اعتقدت أنني استطيع ذلك فيما مضى.

- والآن لم تعد متاكدا من ذلك؟

- إن الجزء الأكثر ثراء بالذهب والمعادن اخشى أن يكون في تلك النقطة من الأرض.

- وطبعا الرجل الأبيض مصر على إخراجه للنور.

- بالنسبة للنتائج التي حصلنا عليها مؤكدة اخشى أن تكون إجابتي عليك هي نعم.

صمتت "نينا" لحظات وهي مشغولة جدا. لو كان العرق الرئيسي يوجد فعلا في ذلك المكان المقدس فإن مواجهة ستحدث لا محالة بين مصالح "متاجم هوليداي" والهنود. سالته:

- ماذا تنوي أن تفعل؟

- منذ بضعة اسابيع ظننت أنني وجدت حلا. واليوم لست ادري ماذا افعل كي أخرج من المازق باقل قدر من الخسائر.

احست "نينا" بقلبها ينقبض، ولكنها قررت الا تسيطر عليها تلك المشكلة حاليا.. وفيما بعد ستقرر الإجراءات التي ستتخذها. إنها اليوم تريد أن تركز على "ماتيو"، وعلى لقائه مع الهنود أصدقائه. ان تثبت لهم للمرة الأخيرة ان احد أعضاء عائلة "هوليداي" ليس عدوانيا معهم.

عند وصولها إلى احتفال العيد دهشت امام مفاجاة سارة. كان الناس يرتدون ملابس بانماط مختلفة.

بنطلونات من الصوف بجمالات من الاسك وثوب طويلة مزركشة. وبعضهم ارتدى الجينز وسترات مطرزة بالفرو. والبعض الآخر يرتدي زي لعبة البيسبول استعدادا للمباراة. قال "ماتيو":

- لدي إحساس انني في احتفال فجر رجل

سالته:

- هل تعتقد أن أصدقاءك موجودون؟

- اتمزحين؟ إنهم هنا جميعا أصدقاء.

- لابد أنك تمزح. هل تعني أن كل الناس هنا جاءوا من أجل "البادواو"؟ لابد من وجود سائحين أيضا. من هذا الشخص الواقف بالقرب من المنصة الخشبية؟

استدار "ماتيو" إلى الجهة التي أشارت إليها.

- هذا؟ إنه والد "جيمي".

قالت معلقة في إعجاب:

- إنه ليس سيئا على الإطلاق. أنا واثقة على أية حال أنه لا يوجد هندي واحد عيناه غير زرقاوين.

- أنت مخطئة.. يوجد أكثر مما تظنين.

- لا يدهشني إذن أنهم يواجهون مشكلة الهوية.

نظر إليها "ماتيو" نظرة غريبة وتبعها وسط الجمهور. مرا أمام رجل جالس خلف طبلة محاطة كلها بالريش المتعدد الألوان. وعلى بعد منه طفل رضيع نائم وسط ملاءة معلقة على فرع شجرة، وعند قدميه جلست امرأة عجوز أمام قدر فوق نيران من الخشب ويتصاعد منه البخار. سأله قارع الطبل:

- أين كنت يا "لامارتين"؟ لم نرك طوال الصيف.

قالت العجوز وهي تحدج شعر "نينا" الأشقر وتشير إلى "ماتيو":

- هذا الرجل أحيانا يكون هنديا وأحيانا لا يكون. أراهن أن "ماتيو" يحب أن ادلله من حين لآخر هو الآخر.

أحست الشابة بالضيق ومالت على القدر تتشممه.

- إن هذا يبدو لذيذا!

قالت المرأة العجوز بعد أن ملأت لها سلطانية:

- إنه أرز بري وهو ليس صعب الإعداد، ويمكنك أن تسأليه عن طريقة إعداده.

ابتسمت "نينا" وأخبرها "ماتيو" أنها صنعت الغطاء من فرو الأرانب. لازمتها الشابة ولم تفكر في المباراة، ثم أخذت تحدثها عن مشروعاتها. قاطعهم "كين" الذي جاء لينضم إليهم.

- كيف حالك يا "لامارتين".. منذ متى وأنت لا تلعب؟ هل تحس أنك

قادر على مباراة؟

- عليك أن تخاف يا "كين"، فإنك تخاطر بأن تقابل مفاجأة: خبرتي أفضل هل فريقك مستعد؟

- نعم إلى حد ما.

أشارت له "نينا" التي كانت تحترق شوقا للعب:

- إذا احتجت لأحد فاعط فقط إشارة.

- فيما بعد عندما نكون فريقا للعب كرة الريش.

تماسكت "نينا" حتى لا ترد عليه بحدة. بينما اللاعبون يسخنون جلست بجوار "جيمي" على دكة من الخشب لتشاهدهم. ثم بدأت المباراة، وشاركت فيها "نينا" عن بعد - في حماس - في البداية. وأخذت تشجع الفريق المنافس رغم احتجاج "ماتيو".

اجتمع الناس في نهاية المباراة في مجموعات يتوقفون أمام منصات مختلفة لتناول الطعام والشراب، وبهبوط الليل بدأ الحفل يصل إلى ذروته، ولم تعد "نينا" تعرف أين توجه انتباهها لتتابع كل الأنشطة. ولكن "ماتيو" كان متعجلا فسحبها بسرعة من منصة لأخرى دون أن يمنحها فترة هدنة. سألته ضاحكة:

- لماذا تجري كل الوقت؟ لقد اعتقدت أننا هنا للمتعة والتسلية.

- أريد أن أقدم لك شخصا.

فجأة نادى صوت على "لامارتين":

- هيا يا "لامارتين".. الرقص سيبدأ.

دهشت "نينا" وقد اتسعت عيناها:

- الرقص؟! هل ترقص حقا معهم؟

- طبعا نعم. أنا لا امزح. انتظريني هنا فلن أتأخر.

- ولكن..

- سأعود فور انتهائي.

اختفى وسط الجمهور. نظرت "نينا" إلى الوجوه فلم تجد غير الوجوه المعروفة حولها. تساءلت: أين ذهب هؤلاء الذين تعرفهم؟ اتجه الناس الآن نحو أصوات الطبول وإلى حلبة رقص مضاءة وسط المخيم. تبعت حركتهم. كان بين الراقصين المرتدين للريش وجوه تعرفت من بينها على "هنري كنج بيرد" وقد بدا عليه الوقار وهو على بعد، ووجوه معظم من قابلتهم في المجلس وبعض اللاعبين للبيسبول، ثم وجه "ماتيو" المليح للغاية. ناحت عليه وسط طنين الطبول ولكنه لم يسمعها.

- هذه إذن الشقراء التي يحبها "ماتيو".

استدارت "نينا" فزعة وهي تسمع صوتا انثويا خلفها. رأت "نينا" فتاة شابة ارتدت ثوبا مطرزا كله بقطع معدنية لامعة. كانت الفتاة فاتنة لدرجة تحبس الانفاس. تلعثمت "نينا" وهي تقول:

- معذرة؟

قالت الفتاة بإصرار:

- هل أنت الشابة التي يحبها عمي "ماتيو"؟ وبسببك لم نره في الصيف الماضي كله.

- عمك؟! اعذريني لانني لا افهم ما تقولين!

- ألم يحدثك ابدا عنا؟

- لا ابدا..

- اما هو فقد حدثنا عنك وعن اموالك.

احست "نينا" بالاحتقار في صوت الفتاة وقدر منذل من العداء.

كيف حدث هذا؟ قالت محرجة:

- لابد أن احدثه.

- لا جدوى من النداء عليه الآن لانه لن يحضر.

- لماذا؟

- الا ترين انه يرقص؟ اعرف فيم تفكرين. انت تتخيلين أن ذا الجلد الاحمر لو تزوج امراة بيضاء فلا يصبح هنديا. وتعتقدين انك ستساعدينه على نزع اراضينا منا. ولكنك نسيت انه امكر منا

- ولكني لا اسعى ابدا لسرقة اراضيكم

- والآن انت خائفة وهو واضح على وجهك. انتم -ايها البيض- متشابهون.. انتم دائما خائفون

- الناس لا يتشابهون ابدا حتى لو كانوا من نفس المجموعة.

قالت الفتاة قبل ان تذهب لتنضم إلى الراقصين:

- هذا هو ما نظنينه. ولكنك سترين. "ماتيو" واحدا منا. ولن ينجح احد في تغييره. لا انت ولا مالك.

www.rewity.com
Hindoda

الفصل التاسع

عندما انضم إليهما "ماتيو" كانت جالسة بالقرب من القارب. كان يلهث ثم جلس بجوارها وقال:

- اعذريني يا "نينا". لم اكن اعرف ان "كينورا" كلمتك ولكن.. كان لابد ان احدثك عنها.

- لا شيء.. لم يعد لذلك اية اهمية الآن.

- من فضلك لا تقولي هذا.

- ما الذي تريد مني أن اقوله لك؟ إنني لست حانقة عليك؟ وإنني سعيدة لانك جعلت من حبنا مغامرة تافهة؟

- هذا غير صحيح يا "نينا" وانت تعرفين ذلك جيدا.

- بالضبط انا لا اعرف شيئا. اجب علي بصراحة يا "ماتيو". من اهم في حياتك: انا أم هم؟

- صدقيني لم اكن اريد لهذه الحادثة ان تقع. ولكن دعيني -على

الأقل- اشرح لك. إن "كينورا" هي ابنة اخي غير الشقيق. وامها كانت مدمنة كحول. ولم تعتن بها ابدا. وعندما مات ابوها بعد عودته من "فيتنام" قمت انا بتربيتها مثل ابنتي.

- ولانني بيضاء وابائك الغرام تعتبرني مسؤولة عن كل الشرور والنعاسة؟

- لا تحنقي عليها يا "نينا" فهي لا تستطيع ان تفهم. وهي مرتبطة جدا بي. وكنت اتعشم -مع الوقت- ان تقبل في النهاية حبنا.

- إذن تحدثت معها عني. ولي لم تقل شيئا!

- لقد كنت اخشى ان افقدك يا "نينا".

- ولكن الا ترى انني في حاجة إلى ان اثق فيك. وان اعرف ايضا انك تثق في؟

قال لها فجاة بحدة:

- انظري إلي جيدا يا "نينا": انا لست واحداً منكم ولن اكون ابدا. هل انت مستعدة للزواج من هندي؟

- انت لم ترد بعد على سؤالي.

- وكيف تريدين مني ان ارد على سؤال مثله؟ لست ادري يا "نينا" لم اعد اعرف إن هذا المكان جزء من حياتي وذكرياتي ومعتقداتي. ولا استطيع ان القي بها بعيدا، واتجاهلها تماما. ومع ذلك هناك جزء مني يحس انه غريب مثلك.

- ولكن هذا ليس رأي ابنة اخيك.

- إن حياتي تغيرت كثيرا يوم قابلتك، ومن الصعب على الآخرين ان يفهموا ذلك.

- انا ايضا تغيرت يا "ماتيو" كثيرا. وبفضلك تعلمت اشياء معينة لم اكن ادركها من قبل.

- إذن لو كانت هذه هي الحالة فهل يمكن ان تمنحيني فرصة اخيرة؟

- لست ادري.

- لا تنسي ان اسرتك استثمرت الكثير من المال في مشروعنا. ابقي معي بعض الوقت اكثر. وإذا لم تفعلي ذلك من اجلي فافعليه -على الاقل- من اجلهم.

- باعتباري شريكة؟

- كما تشائين. ولكن من فضلك ابقي!

نهضت بصعوبة دون ان تجرؤ على النظر إليه. قالت موافقة وهي تهمس:

- موافقة! ولكن اطلب من احد اصدقائك ان يعيرنا خيمة ثانية.

بعد بضعة ايام جلست "نينا" بالقرب من النيران في صحبة صديقتها "ليبرتي". كانت قائمة العشاء في هذا المساء تحتوي على سمك. شرحت لصديقتها

- لقد سالته من يفضله على الاخر.. انا ام هم.

- وكيف تريدين منه ان يجيب على هذا السؤال؟

- إن الامر ليس معقدا لهذه الدرجة. ان يقول لي هل يحبني ام لا. ولا تحاولي ان تجدي له الاعذار. لماذا يجب دائما ان تدافعي عنه؟

- اليس هذا ما تريدينه؟

- اسمعي! انا احاول فقط ان افهم. فالامر ليس سهلا كما تعلمين. اقبل ان يكون احسن راقص في كل القبيلة. ولا اجد ضررا في ان تكون ابنة اخيه مغرمة به ومرتبطة به بعد موت ابيها. بل إنني فخور بذلك. وانا اتفهم ايضا ان يكون قريبا من اهله. ومن الناحية المنطقية لا اواجه اي مشكلة.

- وماذا عن الناحية العاطفية؟

- عاطفيا لا استطيع ان اصل إلى تقبل ذلك. ومهما فعلت فلن اصل إلى الاعتراف بانه يثق فيهم وليس في.

- ما رايك لو بكيت بعض الوقت فإن ذلك يفيدك.

- ولكن ليست لدي رغبة في البكاء.

ثم فجاة انفجرت في النشيج. وقالت بين نهنهتها:

- اتدرين.. إنني في كل مرة يجتاحني الحزن ادخل الغابة وابكي. وبعدها اعود إليه وعلى فمي اجمل ابتساماتي حتى لا يشك في شيء.

- يبدو ان دماءه الهندية تزعجه اكثر منك. هل حاول ان يقول لك الحقيقة؟

- على اية حال هو لم يكذب علي ابدا. ولكنه فقط تجنب الحديث في امور معينة.. إنك لازلت تدافعين عنه.

- اسمعي يا "نينا": قد يبدو ما ساقوله لك تافها. ولكن يجب عليك ان تفكري فيه في يوم او اخر:

إنني اود ان اعتقد ان "لامارتين" رجل ممتاز حقا. وانك مستعدة لقبول اي شيء منه بسبب عواطفك نحوه. ولكن اعرفي انه بدون الثقة يصبح حبك بلا فرصة للنجاح.

- اعرف ذلك ولكن ماذا تريدين مني ان اقول؟

- إذن حسب ما فهمته فانت لازلت تحبينه.

- وكيف يمكنك ان تشكي في ذلك! طبعا انا احبه. وإلا لما قبلت ابدا ان اغير حياتي لدرجة الذهاب لاعيش معه في الغابة. ولو هجرني اليوم لما اصبح لحياتي اي طعم ولا معنى.

- إنه لن يهجرك يا "نينا". إنني افكر في الليل ماذا يمكن ان يحدث لهؤلاء الناس إذا ما اغار عليهم الباحثون عن الذهب؟

- نعم انا اتساءل ليل نهار ماذا سيحدث لهم بعد رحيلنا. إنني قلقة حتى على تلك الفتاة الشابة التي لم اعرفها جيدا! لانها ابنة اخ "ماتيو". هل تظنين انه يجب علي ان اغفر له واتعذب مع الصبر؟

- ولم لا؟ إن كل شيء لم يفقد بعد. على اية حال فيما يتعلق باسرتك

فإن الأمر سينتهي بها إلى قبول الأمر الواقع وتقبل "ماتيو" بينهم.

- اتعرفين أن كل الناس في الأسرة تعتبره لطيفا عدا العمة "أويل" طبعا. ولكن بمجرد أن يضع يده على الذهب فإنني مقتنعة بأنها هي أيضا ستغير رأيها فيه.

- بمناسبة الذهب. هل كل شيء على ما يرام؟

- نعم إنه أحسن مما كان متوقعا. ولكن المال لا يصنع السعادة.

ابتسمت "ليبرتي":

- هذا صحيح! ولكن السعادة لا تملأ البطن عندما يكون خاوياً. هل تعتقدين أن رجلينا سيعودان حالاً؟

- لا تقلقي يا "ليبرتي" إنهما سيضطران للعودة عندما يهبط الظلام. أنت لم تتغيري: فتفكيرك دائما في الطعام.

- طبعا خصوصا الآن. لابد أن أكل لشخصين.

قفزت "نينا" فرحا وتعلقت برقبة صديقتها.

- هذا رائع يا "ليبرتي"! لماذا لم تخبريني؟ أحيانا أتساءل إن كنت تحسين بما أنت فيه من سعادة؟

بعد رحيل الزوجين: "ليبرتي" و"بليك فولكنر" بقليل بدأ الجو يبرد. كان الصيف في أيامه الأخيرة، وسرعان ما ستنتهي أعمال التنقيب وسيترك "ماتيو" و"نينا" المنطقة ليعودا إلى الحضارة: هو إلى "هوتون" ليستأنف محاضراته في الجامعة، وهي إلى "نيويورك" أو ربما إلى "شيكاغو".

كانت أيامهما معا معدودة، ومع ذلك لزم "ماتيو" الصمت وتباعد. حاولت "نينا" ألا تفقد الأمل. أحيانا عندما يعمل كل منهما بمفرده كانت تذهب إلى الغابة رغم احتجاجاته. وفي يوم من الأيام عثرت على ولد مغروس في العشب وفحصته بعناية وهي مندهشة. كان من الواضح أن شخصا ما وضعه عن عمد. وعلى بعد منه كان "ماتيو"

يضع علامات حدود الامتياز. سألته:

- هل سبق أن حضرنا إلى هذا الركن من قبل؟

- لا. إطلاقا.

- ربما لنأخذ عينات؟

- لا. هذا مستحيل. إنه قريب جدا من أرض المستوطنة.

انتبهت فجأة وأصاخت السمع. وعلى بعد أمتار منها كان هناك من يدق دقات واضحة بالمطرقة. تساءلت كيف يمكن أن يكون متأكدا لهذه الدرجة من عدم وجود ذهب في هذه المنطقة التي تتبعه؟ ربما "ماتيو" لا يعرف ذلك، ولكنه يشك فيه. أليس هو الذي زاد من نشاطه عندما أظهر تحليل العينات نتائج إيجابية مشجعة بالنسبة للعينات من الأماكن الملاصقة للمستوطنة؟

انهارت "نينا" على الأرض وقد فهمت ما الذي حدث.

إنها تعرف الآن أن هناك ذهبا تحت قدميها. وإذا كان "ماتيو" رفض أن يستمر في تنقيبه في هذه الأراضي فإن ذلك لم يكن ليحافظ لهم على أراضيهم فحسب، وإنما أيضا ليفي بوعده لـ"هنري كنج بيرد".

هنا يوجد المكان السحري للهنود الذي أقسم "ماتيو" على حمايته. والآن هناك منقب آخر في أعقابهم.

ولكن من هو؟ لو كان شخصا آخر من المنطقة لعرفوه لو كان من غير الهنود.

اضطربت "نينا" وانحنت لتفحص الوتد عن قرب. كان مثبتا به لافتة عليها مسمار ولكن لا يوجد مستند مثبت عليه. لقد بدا ذلك وكأنه علامة امتياز.

كانت تعلم أنه لوضوح ذلك فإنها تخشى أن ترى أعداداً غيره. انطلقت بحثا عنها. كانت مستعدة للذهاب حتى النهاية رغم تحذيرات "ماتيو" وتوغلت في الغابة. تقدمت ببطء وسط الأعشاب والشجيرات

وهي تحرص على تحسس موطئ اقدامها. بعد مسافة تعثرت في صخرة واضطرت للاستناد على كفيها لتنهض. وهنا -عند قدمها اليسرى- لمحت ضوءاً. بعثت حتى اوشكت ان تفقد توازنها. لابد انه العرق الرئيسي الذي يبحثان عنه من زمن طويل. اخذ قلبها يدق بعنف وهي تسير على اربع وتنتزع العشب من تحت قدميها. بدا الضوء يزداد وضوحا امام عينيها. صاحت وهي تلهث:

- "ماتيو".. تعال بسرعة يا "ماتيو"!

صاح مفزوعا:

- لا تتحركي انا قادم!

- ليس بي شيء ولكن اسرع بالحضور.

جرى ليلحق بها واحست بخطواته خلفها. صاح:

- ماذا بك يا "نينا"؟ هل اصبت بضرر؟

صاحت وهي تسحبه إلى النقطة التي سقطت عندها:

- لقد عثرت على الذهب!

قال وقد تجهم وجهه وهو يربت على سطح الصخرة الاملس:

- نعم.. هذا فعلا الذهب.

- الم تكن تنتظره؟ ولا انا كنت انتظره. انا سعيدة للغاية! هل تدرك انني لولا حضوري إلى هذا المكان بالمصادفة لما عثرنا عليه على الإطلاق؟

- هذا صحيح.

- ماذا هناك يا "ماتيو"؟ انت تقلقني بلهجتك.

- لا شيء.. اعتقد انه بسبب الصدمة.. اعرف الآن انني سافقدك.

- ولكن هذا مستحيل.

- سنرى!

- على اية حال لابد ان نسارع بالتسجيل قبل فوات الوقت.

هل رايت الوتد والعلامة؟

- نعم.. هذا هو الذي نبهني. واعتقد ان الهنود هم الذين وضعوه. اليس كذلك؟

- نعم.. نوعا ما.

- هل هذا احد اماكنهم المقدسة؟

- نعم.. ربما.

- على اية حال كل ما ينتهي إلى خير فهو خير. انا سعيدة لانني قابلتك، ويمكننا ان نحصل اخيرا على بضع ساعات من الراحة.

- اخر ساعاتنا معا. اليس كذلك؟

همست بابتسامة مشرقة:

- نعم.. لا شيء سوانا.

انتبهت "نينا" هذا المساء اكثر من المعتاد لما حولها. كانت كل حركة لها معنى خاص بمناسبة قرب الرحيل المحتم. ظل "ماتيو" صامتا تماما. وانهى ابحاثه قبل الموعد المعتاد، ثم ذهب ليتمدد بجوار نار المخيم وهو يتابع كل حركاتها.

- تعالي اجلسي بجواري يا "نينا".

- إنني لا استطيع ان اصدق ان غدا لن نكون هنا.

ودت لو اعلمته ما في قلبها. ولكن امام نظرته القاتمة ظلت ساكتة. لماذا لا يقترب منها ولم يبق على فراقهما سوى وقت قليل؟ ثم لماذا لا ينتهز الفرصة ويصارحها؟

قالت ببساطة:

- إنني اسفة لاننا سنرحل!

- الن تاسفي على شيء اخر؟

- لا.. لا شيء

- هل انت متاكدة؟

- نعم. ولكن في الغد ستعود إلى الواقع. وسرعان ما تنسى كل شيء.

- هل تقصدين اننا لن نعود إلى هنا مرة ثانية؟ إنني اريد منك أن تبقي معي يا "نينا".

- وان اظل خارج حياتك تماما؟

- إنني امنعك يا "نينا" من أن تفكري هكذا. ربما لا استحق ثقتك، ولكن اعلمي انه طوال حياتي لم احب احدا مثلك ابدا وبهذه القوة. وإذا كنت قد ترددت في الاعتراف لك فإن ذلك كان بسبب خوفي من أن افقدك. ويجب أن تصدقيني.

- قل لي إنك تريد أن تحتفظ بي يا "ماتيو".

- كيف تشكين في ذلك؟ لقد انقلبت حياتي تماما بسبب حبي لك.

- انا احبك يا "ماتيو".

- ولكن الأمور تتغير.

- احيانا للأحسن.

- إن حياتينا مرتبطتان بقوة ومن الصعب فصلهما. ولكن اي صدمة يمكن أن تحطم هذا الارتباط، ووقتها لا استطيع ان اتحمل ذلك. ولهذا السبب من الصعب أن احتفظ بك رغم شدة رغبتي في ذلك.

- ولكن من قال لك إنني اريد الرحيل؟

- إننا كياتان مستقلان يا "نينا".

- نعم مستقلان وحران في اختيار البقاء او الرحيل. انا احبك يا "ماتيو" وقد تغيرنا كثيرا، ولكن عواطفي نحوك ظلت كما هي. اريد أن ابقى معك وعلى استعداد للمخاطرة. إنني لا اريد أن اتركك تبتعد عني خطوة.

ظلا فترة طويلة يتبادلان عبارات الحب، وقبل أن يدخل كل منهما جوال النوم قال لها:

- ارجوك لا تتركيني ابدا يا "نينا"!

كان الجو في اليوم التالي -وهو يوم الرحيل- ممطرا وبهذا يتجمد مياه البحيرة مما قد يمنعهما من الرحيل حتى نهاية الشتاء.

قالت له:

- لدي إحساس انك لا تريد تسجيل الامتياز. انت تخشى الاف المنقبين الذين سيحضرون بعد رحيلنا لغزو المنطقة.. اسمع يا "ماتيو" إننا لا نستطيع الرجوع بالزمن إلى الوراء، ولقد سبق السيف العزل.

- ولكن..

- لا تقل شيئا.. فور وصولنا المدينة سنسجل الامتيازات. ثم نستقل اول طائرة إلى "هوتون". وبدخلنا من المنجم سنعيش حتى نهاية ايامنا.

في المطار حضر معظم أصدقائهما لتحيتهما قبل الرحيل "جيمي" و"كين" وابنة اخي "ماتيو"، وبعض اعضاء مجلس المدينة وبعض افراد فريق البيسبول.

ذهبا مباشرة في مدينة "ثاندر باي" إلى مكتب التسجيل. كانت "نينا" صابرة ولم تفهم سبب هدوء رفيقها: سالته وهي واقفة بجانبه

- لماذا يبدو عليك هذا المظهر؟ انا شديدة القلق لانك تتصرف وكانك لم تفعل شيئا.. إننا لن نعثر كل يوم على هذه الكمية من الذهب.

نهض الموظف عندما شاهد "ماتيو" لاستقباله وصاح

- اوه.. "لامارتين"! هل مررت لتحيتنا تحية الصباح؟

- لا ليس بالضبط.

- على اية حال انا سعيد برؤيتك. ماذا هناك؟

ناولته "نينا" المستندات ووجهها مشرق.

- ارجوك ان تلقي نظرة على هذه المستندات.

- هل عثرت على شيء؟

مال الموظف على المستندات ليفحصها عن قرب:

- لاباس.. أليس كذلك؟

- فعلا.

صاحت وهي منتعشة:

- لابد أنكما تمزحان! ألا ترى إذن النتائج؟

- ليست سيئة. ولكنها بالتأكيد ليست أحسن من السابقة.

- السابقة؟!

- نعم. نتائج "لامارتين" التي قدمها في العام الماضي لنا تقريبا في نفس الفترة.

استدارت "نينا" ببطء نحو "ماتيو" الواقف خلفها مستندا على الجدار، وهو ينتظر في هدوء رد فعلها.

- لست أفهم.. عن أي شيء يتحدث؟

- هذا صحيح يا "نينا".. لقد سجلت كل امتيازي في العام الماضي في نفس الوقت.

كان الموظف - يؤيد في مرح - كلام "ماتيو"، ولكن "نينا" لم تعد تسمع شيئا. كان ذهنها بعيدا. إذن لقد سجل امتيازا في العام الماضي، وهذا كان قبل لقائهما. قبل أن يقدم لها عرضه، وقبل تدخل عائلتها، لماذا لم يقل لها شيئا؟ لماذا؟

- إذن تلك العلامة كانت علامتك؟ لقد كنت تعلم فعلا بوجود الذهب؟ لقد كنت دائما تعرف!

- اقسم لك يا "نينا"..

- لا جدوى من القسم يا "ماتيو".. كيف تريد مني أن أمنحك ثقتي بعد كل ما حدث؟

الفصل العاشر

أخذ الموظف ينظر إلى وجهي "نينا" و"ماتيو" على التوالي. الأولى غاضبة والثاني متجهم. قال "ماتيو":

- لدي إحساس أنه من الأفضل أن أصمت.

تدخلت "نينا":

- بالعكس. إنني أعرف -على الأقل الآن- أين أقف من شريكي السابق إذا أردنا الدقة.

- دعيني -على الأقل- أشرح يا "نينا".

- لقد فات الأوان يا "ماتيو". لقد منحتك الفرصة أكثر من مرة أن تفعل، ولكنك فضلت دائما السكوت.

اتجهت إلى باب الخروج مصممة على الخروج، ولكنه منعها.

- لا مناقشة في أنك لن ترحلي قبل أن تسمعيني. شئت أم أبيت.

أخذ يشرح لها الوضع ولكنها لم تكن تنصت إليه.

- وهل تريد مني أن أصدقك؟

- صدقيني يا "نينا" إنني لم اتوقع ما حدث. ثم إنك انت التي اكتشفت العلامة. ولكني لم تكن لدي النية ابدا أن اخدعك، ولا اخدع عائلتك. يبدو انني اخطات في حسابات. وقضيت الأيام الأخيرة محاولا إصلاح الخطأ. ماذا يمكنني أن اقوله لك اكثر من هذا؟

- من ناحية الخطأ فقد ارتكبت اكثر من واحد.

- كان من الواجب علي أن احدثك عن ذلك. أليس كذلك؟

- هناك امور كثيرة كان عليك ان تحدثني عنها. حسنا خبرني لماذا لم تقل لي شيئا؟

احست بالتعب من الصراع فاسندت ظهرها على الجدار.

- لاسباب عدة.. بسبب الوعد الذي قطعته على نفسي لـ"هنري كنج بيرد"، ولمجلس المدينة على حماية وإنقاذ المكان المقدس؛ بسبب أن المنجم كان اغنى مما توقعت. وبذلك اصبح اكثر خطراً؛ لانني كنت اخشى ان اجعلك -كما توقعت عمتك "أويل"- تشكين في وهو ما حدث.

- إذن عليك أن تبوح لي يا "ماتيو".

- لقد اعطيت كلمة يا "نينا".

-حسنا.. هذا شيء افهمه واحترمه، ولكن كان من الواجب عليك أن تحدثني عنه، ولتمكنا معا من إيجاد حل.

- "نينا".. اريد ان اتزوجك.

كانت قد اتجهت إلى موقف سيارات الأجرة. استدارت نحوه بعد أن وضعت يدها على مقبض باب السيارة وقالت:

- ماذا تريد؟ إصلاح الأخطاء؟ لست متمسكة بذلك.

- لن ادعك ترحلين يا "نينا".

حاولت الدخول في السيارة وحاول منعها فتدخل السائق.

- انتا دع الشابة في حالها.. هل تريدين أن أستدعي الشرطة؟

زمجر "ماتيو" بين أسنانه:

- لاداعي.. إنني اريد أن اتزوجها فقط.

- مارايك يا انسة؟

قالت وهي تحاول أن تدخل السيارة:

- لا اوافق.

- هذا هو ردها أيها الشاب.

قال "ماتيو" متوسلا:

- لنذهب إلى مكان ما ونناقش الأمر في هدوء.

احست بالضعف الشديد. إنها لم تعان في حياتها ابدا كما تعاني الآن من قلبها وجسدها. قال "ماتيو":

- انا احتاج إليك يا "نينا"!

- لا فائدة. لديك منجم بشغلك الآن. اتصل بـ"روسيل" لإبرام العقد.

اخذ ينظر إليها طويلا في عينيها مباشرة قبل أن يقبل في النهاية أن يتركها. جلست داخل السيارة التي انطلقت في الحال.

- والآن يا انسة مادامت المشكلة سويت اين سنذهب؟

- إلى المطار من فضلك.

اغمضت عينيها واخذت تبكي.

استقبلها "روسيل" في المطار عند وصولها "شيكاغو".

- لقد اشتريت الجريدة هذا الصباح. إن أسعار الذهب بدأت تصعد تماما كما توقعت الأختان التوءمتان. رائع!

- من فضلك يا "روسيل" لا تحدثني ابدا عن الذهب.

سالها "روسيل" وقد قطب جبينه:

- اين "لامارتين"؟ هل بقي هناك ليتم تصنيفاته؟

- إنه بقي.. هذا كل ما هناك. وارجوك لا تحدثني بعد الآن عن "ماتيو لامارتين". لا اريد سماع هذا الاسم.

قال "روسيل" بصوت هادئ:

- اسمعي.. الأمر ليس خطيرا.. تفقدين واحداً وتجدين عشرة.

احست بقلبها ينقبض وانها فقدت "ماتيو" للابد. اصبح كل واحد بعيدا عن الآخر في عالمه الخاص، ولم تعد هناك اي فرصة لأن يلتقيا ثانية. سالته بصوت مرتجف:

- وانت كيف حالك يا "روسيل"؟

- على خير ما يرام.. لم يعد هناك "جلوريا" ولا مقالب. لقد التقيت مؤخرا بامراة تلعب في نفس نادي، ولديها اخوان توءمان في "سان جوزيه" ففكرت في الحال في "كوكي" و"شوجار" فقد حان الوقت لاستقرارهما العائلي.

- هذا لطيف جدا منك يا "روسيل"!

- ولا تحملي هما بالنسبة لموضوع "ماتيو" فسرعان ما ستعودين إلى عاداتك في الحياة، وأمامنا اشياء كثيرة علينا أن نقوم بها معا.

- ماذا؟

- لقد درست بإمعان منطقة امتياز التنقيب، واكتشفت أنه لا يوجد سوى فندق واحد هناك. لذلك سانتهز الفرصة لإقامة عدد منها، ولكن مطورة مع مطعم وديكورات خشبية. وفكرت انك قد تساعديني. سنتمكن معا من إعداد الحفلات الهندية، والاعياد القومية مرة في الاسبوع، ونزهات في القوارب الهندية وستكون جنة!

- افهم من ذلك أن لديك نية أن تخلق من المكان مدينة "هوليداي"؟ ولكن لا تعتمد علي يا "روسيل".

- ما الذي جرى لك.. هل ترفضين المال فجاة؟ ثم بفضلي قد تقابلين "لامارتين".

- اسكت أرجوك! هناك أمور كثيرة لا تفهمها.

- على أية حال لقد لاحظت أن الشهور الطويلة في الغابة لم تفدك كثيرا.

كانت العمة "اوبل" جالسة في الصالون تحتسي مشروبا.

- مرحبا يا عزيزتي. هل قمت برحلة ممتعة؟

رد "روسيل" بدلا منها.

- لقد بقي "لامارتين" هناك وعادت هي بمفردها.

- بدونه؟! اتعتقدين أن ذلك من الحكمة يا عزيزتي؟

- أرجوك يا عمتي. ليست لدي رغبة في الحديث.

ثم اغلقت على نفسها باب حجرتها.

مرت الأيام ولم تسمع عنه خبرا ففقدت الأمل -شيئا فشيئا- في أن تراه ثانية. وبعد اسابيع قليلة من وصولها جاءت الأختان التوءمتان لزيارة الأسرة. تضايقت "نينا" من ثرثرتهما التي لا تنقطع. وبعدم اكتراث اخيها بحالتها؛ فضلت قضاء معظم الوقت في حجرتها جالسة وسط كومة من الملابس. جاء عمها إلى بابها وقال بعد أن دخل الغرفة.

- طرد من أجلك يا"نينا".

قفزت في فرحة لتاخذ الطرد. لقد كان مرسلا من "ميتشيجان". نزعت أوراق الملف بيد مرتجفة، ووجدت بالداخل غطاء مطويا بعناية من الفرو. بحثت "نينا" - في الحال - عن خطاب او كلمة تشير إلى المرسل. ولكنها لم تجد سوى حذاء موكاسان هندي، والمزمار الذي نسيته. احتضنت الهدية بشدة، وجلست على السرير وسالت عمها:

- الا يوجد خطاب؟

- لا.. ولا كلمة. الكلمات يا ابنتي لا فائدة منها. إنك تشتاقين إليه كثيرا.. اليس كذلك؟

- إنني لا أستطيع أن أنساه يا عمي!

قال الرجل العجوز بصوت عميق:

- دعيني أسدي لك نصيحة يا ابنتي.. يجب أن تأخذي الناس على علاتهم، ولا تحاولي تغييرهم.

- إن "ماتيو" لم يثق في يا عمي. لقد حاول أن يخفي عني اشياء معينة ولا يمكنني أن اغفر له.

- اسمعي قلبك. ربما كنتما في الأساس لا يختلف أي منكما عن الآخر. كل الناس ترتكب أخطاء في الحياة ولكن بفضل الخطأ نتعلم الصح. وربما وجب عليك أن تمنحيه فرصة أخرى.

دخلت الأختان كالعاصفة وصاحت "كوكي":

- مكالمة من أجلك يا "نينا".

اضافت "شوجار":

- وهي من بعيد

سمعت صوت "ليبرتي" على الجانب الاخر من الخط. بذلت "نينا" كل ما في وسعها لتخفي إحباطها. قالت:

- لقد اعتقدت أن المكالمة من "ماتيو" يا "ليبرتي".

عندما سمعت الأختان اسم "ماتيو" ربضتا فوق السرير وهما تتاملان الغطاء الفرو في انبهار. قالت "ليبرتي":

- لقد اتصل بنا هذا الصباح.

- من؟ "ماتيو"!!

- نعم. كان يريد الحديث مع "بليك" وانتهزت الفرصة لأساله عن أخبارك.

- وماذا قال؟

- ليس بالكثير. إنه يبدو في حالة اسوا من حالتك.

- إنه يستحق ما يجري له.

- لماذا لا تريدين ان تغفري له يا "نينا"؟

- لقد فعلت ذلك من قبل عدة مرات. ولا اريد على اية حال أن اقضي كل عمري في العفو عنه!

- إنني اتصل بك حتى تعيدي التفكير قبل اتخاذ اي قرار.

بعد معارضة شديدة من "نينا" قبلت أخيرا أن تتبع نصائحها. سالتها بصوت مرتجف:

- إذن ماذا علي أن افعل في رايك؟

- إذا كنت متمسكة به فاذهبي وابحثي عنه!

- انظنين ذلك؟

- انا متاكدة وعند وصولك "هونون" اتصلي بي.

صباح اليوم التالي -وهو يوم رحيلها- كان الجو رائعا ومثاليا لأن تعسكر أمام بيت أحد. كانت مسترخية وتحس بالخلاص بسبب ما اتخذته من قرار. هبطت إلى قاعة الطعام لتناول الإفطار. استعدت

للدخول عندما سمعها صوت "روسيل" في مكانها:

- إن الأمر لا يدخل عقلي. عندما قرات عرضه تساءلت إن كان قد فقد عقله. يالها من فكرة!

تدخلت "كوكي":

- يا للمسكين "ماتيو"!

الحت "شوجار":

- لابد انه يحس بالوحدة الشديدة.

تدخلت العمة "اويل":

- اهدئي يا "كوكي" وانت يا "شوجار". ولننتقل في الحال إلى موضوعات أكثر جدية.

أحست "نينا" بغصة في حلقها.. إنه "ماتيو"!

لابد انه ارسل اخيرا تقريره. ماذا سيكون رد فعل الأسرة عندما يكتشفون محتوى التقرير؟

على اية حال من المهم أن تعرف ذلك. وقالت:

- صباح الخير للجميع. كيف حال الأعمال؟

قالت العمة "اويل":

- لقد تلقى أخوك أخبارا غير سارة هذا الصباح.

قال "روسيل":

- ليست هناك مشكلة يا عمتي، وسابحث الأمر مع المحامين من الغد. ولكن الحق يقال: ليس في الأمر اي عمل غير امين. إنه يعطينا كل نصيبه في المنجم إذا قبلنا تجنب العمل في خط طوله عشرة كيلومترات حول تلك النقطة المحددة على الخريطة. وانا اقول: إن هذا المخلوق فقد عقله تماما.

ومع ذلك لم يكن هذا راي العم "بو" والعمة "اويل". لم تعر "نينا" حديثهم اي التفات. أحست بالاضطراب وهي تنظر إلى شقيقها وفمها مفتوح على آخره.

بدات تفهم -شيئا فشيئا- لماذا اتخذ "ماتيو" هذا القرار أخيرا. إنه

بالتخلي عن نصيبه لا يحمي المكان المقدس فحسب وإنما أيضا يثبت للعائلة أنه ليس في حاجة إلى الذهب. قال العم "بو" معلقا:

- لا يمكن أن أظن أنه فقد عقله بل إنني أجده لطيفا..

ردت العمة "أويل":

- أنا لا أصدق كلمة واحدة من هذه القصة. اتصل به يا "روسيل".. يجب أن تتحدث معه بأي ثمن.

- لا داعي لذلك يا عمتي: فقد اتصلت به ولن يتأخر في الحضور.

رن صوت "ماتيو" فجأة في أرجاء المنزل:

- أين هي؟

قال "روسيل" في مرح:

- أترون.. لقد نجحت.. يكفي أنني قلت له: إن "نينا" أصيبت في حادث حتى حضر على جناح السرعة.

- أنت تمزح يا "روسيل"..

لم تكمل "نينا" عبارتها. أصابها جنون الفرح فتعلقت برقبة شقيقها ثم جرت نحو "ماتيو" الذي صاح:

- هل أنت بخير؟ ألم يصبك شيء؟ لقد فزعت للغاية!

- وأنا كذلك يا "ماتيو".. ولكنك الآن بجواري فلا تتركني.

- أنا أتركك؟!

تمت

www.rewity.com
Hindoda